سلسلة
حمد الكاظمي (القدسي)
حقائق في علم الكتاب
( دراسة في علوم الكتب السماوية )
الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون﴾

صدق الله العظيم

(سلسلة)

# حقائق في علم الكتاب

## (دراسةٌ في علومِ الكُتبِ السماويةِ)

الجزء الأول

(سلسلة)

# حقائق في علم الكتاب

## (دراسَةٌ في علُومِ الكُتبِ السمَاويَةِ)

الجزء الأول

تأليف
محمد محمد سليم الكاظمي(المقدسي)

2003

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2001/7/1460)

291.82
كاظ الكاظمي، محمد محمد سليم عبد القادر
حقائق في علم الكتاب: دراسة في علوم الكتب السماوية .-
محمد محمد سليم عبد القادر الكاظمي. - عمان : المؤلف، 2001
( ) ص
ر. إ. : 2001/7/1460
الواصفات: الكتب السماوية // التوراة// القرآن

● تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

( رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر) 2001/7/1394

● الطبعة العربية الأولى : الإصدار الأول 2003 .
● جميع الحقوق محفوظة للمؤلف .

عنوان المؤلف :

Email: Mkazimi@Glmc.co.za
Email: Hakaik2002@Yahoo.com

ص. ب. 910925 تلفون ٢٧٨٢٦٦٧٨٦٨٣+ // 27826678683+

جميع الحقوق محفوظة، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله أو إستنساخه بأي شكل من الأشكال دون إذن خطّي مسبق من الناشر.

**All rights reserved.** No Part of this book may be reproduced, or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording or by any information storage retrieval system, without the prior permission in writing of the publisher.

■ الاخراج الداخلي وتصميم الغلاف وفرز الألوان و الأفلام :
دائرة الإنتاج / دار الشروق للنشر والتوزيع
هاتف : 4618190/1 فاكس 4610065 / ص .ب . 926463 عمان (11110) الأردن
Email : shorokjo@nol.com.jo

# المقدمة

الحَمدُ لله كُلَّ الحَمدِ عَلى مَا أَنعَمَ عَلينا مِن نِعَمِهِ وتَفضَّل ، ولم يكُن ليحرِمنا مِن رَحمَتِهِ ويَبخَل .

والشُكرُ للهِ خَالِقُ الخَلقِ على ما يسَّر لَنا مِن أُمورِ دُنيانا لننعمَ بِها فنفوز ولم يُعسِّرها لنا فنتعس بها ونخسَر .

وكُلُّ الثَناء العَظيمِ والولاءُ الجزيل للهِ مَالِك المُلك على ما أعطانا مِن فَضلِهِ ولم يُقَصِّر .

ونعوذُ باللهِ العظيم مِن شُرورِ أنفُسِنا و من سيئاتِ أَعمالِنا ، ومِنَ الشيطانِ الرجيم الذي هو خصمنا وعدونا .

سائلين المولى العزيز أن يغفِرَ لَنا خطايانا وكثرة ذِنوبنا وإسرافنا في أمرِنا ، وأن لا يؤاخذنا في تَقصيرِنا بحقِ ديننا الذي هو عِصمَةُ أَمرِنا ، ووجهةُ مَلاذِنا ، وأن يرحمنا في الدنيا التي فيها معاشُنا ويحسن إلينا في الآخرة التي فيها معادُنا .

وأن يلهمنا الوسيلة في الدُنيا والآخِرة ، وفي حِلَّنا وتِرحالِنا ، وفي عَملِنا و مالِنا ، وفي أهلنا وجيراننا ، ويُعيننا بالرحمة المهداة على أنفُسِنا لِنتَمَكن مِن تَطهيرها مِن دَنسِ الدُنيا لتنال بإذن ربها نعيمَ الآخرة .

مبتهلين إلى الله سبحانهُ أن يُنعِم عَلينا بالراحةِ والطمأنينة في ظلِ دينهِ الحق دينُ الأرضِ والسماء ، ودينُ الحبِ والوفاء .

فالمُلكُ كُلُّ المُلكِ مُلكُهُ وحدَهُ ، والعِلمُ كُلُّ العِلمِ عِلمُهُ هو وحدَهُ ، لا شيءَ قَبلَهُ ولا شيءَ بَعده ، لا إله غيرَهُ ، وحدَهُ ، لا شَريكَ له ، لهُ المُلكَ ولهُ الحمد ، يحيي ويُميت وهو على كلِ شيءٍ قَدير .

شَهِدنا ونَشهدُ بأنَّ اللهَ حق، وأنهُ بَديعُ السماواتِ والأرض، وأنَّهُ هو وحدَهُ مَلِكُ العَرشِ العَظيم، سُبحانَهُ وتَعالى عمَّا يُشركون، تبارك اسمُه وتَعالى جَدُّه، لا إله غَيرُه، يحيي ويُميت وهو على كلِ شيءٍ قَدير. لا إله إلا الله، ولا نعبُدُ إلا إياه، مخلِصينَ لَهُ الدينَ ولو كرِهَ الكافِرون.

والصلاةُ والسلامُ عَلى سَيدِ المُرسَلينَ محُمد بن عبدِ الله، سَيدُ الأنام، وساكِنُ الجِنانِ، خَاتِم الأنبياءِ والمُرسلينَ، شَفيعُ الأُمة المُسلمة، وقائدُ أَهلِ السُنةُ المُطهَّرة، تاركٌ بين أيدينا ما إن تَمسكنا بهِ لَن نَضِلَّ أبداً، كِتابَ اللهِ وسنةَ رَسولهِ، عليهِ أَفضَلُ الصلاةِ وأتمُّ التَسليم، وعلى آلهِ وصَحبِهِ الكِرامِ الطَاهِرين، وعلى أزواجِهِ وذُريتهِ البَرَرَة المحُصنَّين، وعلى من اتبع سُنَّتَهُ، واهتَدى بهداه إلى يومِ الدين.

عليهِم أَفضَلُ الصلاةِ وأَجلُّ التَسليم.

**أما بعد:**

لقد جاء في محُكم آياتِ القرآن الكريم قول الله العزَّيز القَدير في سورةِ آل عمران الآيات ١٩٠و١٩١:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ والنَهارِ لآياتٍ لأُولي الأَلبابِ ۞ الَّذينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِياماً وقُعُوداً وعَلَى جُنُوبِهِمْ ويَتَفَكَّرُونَ في خَلقِ السَماواتِ والأرضِ ربَّنَا ما خَلَقْتَ هذا باطِلاً سُبحانَكَ فقِنا عَذَابَ النَّارِ﴾ سبحانه وتعالى.

وعندَما نتَمعنُ في قِراءةِ هَذهِ الآيات الكَريمات ونتأمل بمعانيها الجليلة، نُدرك مَدى الإعجاز القرآني العظيم في كلماتِها و المَتجلي بإعطائهِ فِكرة كاملة مخُتصرة وواضحة عَن أَصلِ الكونِ ونشأتهِ، وكذلك مغزى الوجود البشري المُتمركِز على هذا الكوكب بالذات، فلم يأتِ ذِكرُ السَماواتِ والأرض في بداية هذهِ الآية الكريمة إلا للدلالة على خلق الكون ككيان متكامل ليكون في النهاية محيطاً آمناً لجميع المخلوقات المعروفة وغير المعروفة لدينا، وللتنويه كذلك على ما فيه من عجائب وغرائب، مِنها ما تُدركُه عُقولنا ومِنها ما لم تُدركه ولن تدركه أبداً، فعمليةُ خَلقِ السماوات والأرضِ وجعلِهما في هذهِ الصورة التي نَراها اليوم بأُم أعيُنِنا وبكامِل حِسنِّا، والتي تُناسِبنا تماماً كمخلوقات حية تتميز بحاجَتِها لِظروفٍ بيئية مُحددة كَي تَعيش وتَستمِر لا نجِدها في كوكبٍ آخَر مِن حولِنا على الإطلاق، هذهِ العَملية ما هي إلا عِبارة عَن آياتٍ بيناتٍ، أي براهين

واقعية وحقيقية لقُدرةِ الخالِقِ وعَظمَتِهِ ، والتي يصعب أن تخفى على أحد ، ليُدركُ الإنسانُ مِن خِلالِها ومنذُ اللحظةَ الأولى ، بأنَّهُ مخلوقٌ ضَئيلُ الحَجم ومحدود الإمكانياتِ بالمُقارَنةِ مع ما خَلقَ الله وأبدَعَ ، فأينَ الإنسانُ وأينَ حَجمهُ مقارنةً مع هذا الكونُ الشاسع المُترامي الأطراف .

بَعدَ ذلِك جَاءَ ذِكرُ اختلاف الليل والنهار ، وعَلينا هُنا أن لا نهُمل سَبب ذِكر فِعل الخَلق بداية وإلحاقِهِ بِظاهرة اختلاف الليل والنهار مستثنياً الظواهِر الطَبيعية الأُخرى المعروفة لدينا ، والسبب كما نراهُ هُنا ليتِم تذكير بني البشر بفضل الله عليهِم ، فهُما إن دلاّ على شيءٍ فإنما يَدُلان على تَكريسِ المولى العزيزِ القَديرِ لآلية الليل والنهار في العمل على إيجاد الأجواء المناسبة لبني البشر بشكلٍ خاص ، وذلك في إنشاء نظام زمني يلتزمون ويتقيدون باختلاف أجوائه ، ليكونَ لهُم بالنهايةِ دافع ومُحَفِّز على إيجادِ مَعنى ومغزى لحياتهم التي يَقضونَها على الأرض ، فَتقيُد الناس في أجواءِ الليلِ والنهارِ والصيفِ والشتاءِ إنما هو دليلُ رضوخٍ وانصياع لإرادة المولى العزيزُ القَدير في ما فَرضَهُ على خلقهِ مِن ظروفٍ بيئية ومناخية مُحددة ، تُجبر المَخلوقات الأرضية جميعاً على مُسايَرتها والتَماشي مَع مُتطلباتِها ، ليَتمكنوا بالتالي ، أي المَخلوقات ، مِن الاستمرارِ في البقاءِ على هذا الكوكب بالذات ، وذلك تماشياً مع مشيئةِ الخالِق في تسييرِ شؤونِ خلقهِ وسعيهِ ، جلَّت قُدرتُه ، في حثهِم على إتِّباعِ أوامِره وتجنُب معصيتهِ .

فالظواهِر الطبيعية مِن كَوارث كالفَيضاناتِ والأعاصيرِ وغَيرُها مُرتبطة أيضاً بصورةٍ أو بأخرى في اختلاف الليلِ والنهار ، وذلِك لارتباط هذهِ الظواهِر وبِشكلٍ رئيسي بأوقاتٍ وأزمانٍ مُحدَّدة ، وهذهِ الأوقات والأزمان يَحددُها تتابُع الليل والنهَّار ، ولولا وجود ذلِك التتابُع المُنتَظِم في الليلِ والنهَّارِ لما وجدَ الوقتُ أو الزَمن أصلاً ، فتعريف الوقت هو تحديدُ فترات مِن النهارِ لِفَصلِها عن فتراتِ الليل ، والزَمنُ هو مجموع أوقاتٍ مُعينة مِن الليلِ والنَهَّارِ أو كِلاهمُا معاً في فَترةٍ ما .

هَذهِ الدلائِل والبَراهين كُلُها تَتَضِح للَذينَ يُخلِصونَ العِبادةَ لله ويُؤمِنونَ بِهِ حقاً ، فيفهموا أن الله حق والآخرة حق والجنَّة والنار حق ، وذلِك عِندَما يَقِفونَ مَذهولين أمامَ عَظمةِ الخَالِق وعظمة خلقِهِ للكون وهُم يقرؤون كِتابهُ ويتدارسونَ آياته المُحكمات ، ليعلموا بعدها فضلُ اللهِ على بني الإنسان في تخصيص جُزءٍ مِن آلية هَذا الكون لِتكونَ في خِدمتهِ وحدَهُ ، فهذهِ الحِكمَةُ العَظيمةُ لا يَستَطيعُ أن يَفهَمُها إلا القَليلُ مِنَ البَشَر ، والذين خَصَّهُم المولى العزيزُ بقولهِ ﴿ لأُوْلِي الأَلْبَاب ﴾ محُدداً صفات هَؤلاءِ بِقولِهِ ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ الله قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ لتكون دعواهم بالنهاية ويتحدد رجاؤهم في قولهم ﴿ربنا مَا خَلَقْتَ هَذا

بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ أي بأن يكونَ مَطلبُهُم الحَقيقي والوَحيد في هذهِ الحياة بَعدَ أن عَرفوا ما عَرفوه واستوعبوا مَا قرؤوه وفهموا ما درسوهُ مِن آيات الذِكرِ الحكيم، هو النجاةُ مِنَ النَّارِ والفَوزُ بِجنَّة النَعيم، جنَّة الخُلدِ التي أُعدَّت للمُؤمنين .

هذه دعوة لذكر الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبنا، وكذلك دعوة لنتفكر في خلق السموات والأرض لعللنا بذلك نصل إلى معرفة الحق والباطل بكل ما تحتويه الكلمة من معنى، لنتيقن بعدها بأن الخالق العزيز الوهاب لم يخلق هذا باطلاً سبحانُه، فكل صغيرة وكبيرة مما خلق الله وأبدع هي حق لله وحده، تسبحه وتعظمه ولا تنسى فضله.

ومن ينكر هذا يكون مثواه جهنم وبئس المصير.

فسبحان الله وبحمده لا إله الا هو العزيز الغفار، سبحانك اللهم ارحمني برحمتك،

وقنا وأهلينا وذريتنا من عذاب النار،

إنك أنت العزيز الغفار.

**المؤلف**

## الفصل الأول

# علم الكتاب

# حقيقة علم الكتاب

علم الكتاب هو علم كباقي العلوم المطروحة حالياً، والتي تدرّس في مختلف المؤسسات التعليمية، وأهم ما يتميّز به علم الكتاب هو أسمه، كونه أخذ من القرآن الكريم. أما سبب طرحه كعلم جديد لم يسبق وأن اعتمده أي مجتمع من قبل، هو يقيننا بحاجة المجتمعات البشرية إلى علم شامل ومتكامل لا يقبل التجديد والتطوير ليصل بالإنسان إلى مرحلة الإشباع الفكري والنفسي حتى تتوقف الشعوب بعدها عن البحث والتمحيص في ما هو جديد ومبتكر ليسود الاستقرار ويعم السلام المنشود من قبل الناس جميعاً.

فعلم الكتاب علم يربط بين الحاضر والماضي والمستقبل، وبين الخلق والخالق، وبين الدنيا الآخره.

ولا نتردد بتحديد مسؤولية دراسة هذا العلم والبحث فيه ومن ثم نشر أسسه ومفاهيمه بين الناس أجمعين، على المسلمين المؤمنين بالله واليوم الآخر بشكل خاص.

وذلك لكون المسلمين مطالبين بأن يَشكروا الله كثيراً ويحمَدوهُ على ما منَّ عليهم مِن رَحمته وفَضلِهِ العَظيم، وعلى أُمةِ مُحَمَّد أجمعين، بأن جَعلَ فيهم الكِتَّاب والنُبوةَ، وهمُا خَيرُما يُمكِنُ مَنحَهُ لِمَخلوقٍ في هَذا الوجود، ولا يُمكن لأي مُسلِم أو مُؤمن أن يَطمَع بِأكثَرُ مِن هَذا، وإنّ لهُ ذَلك وقد جمَعَ الله في كُتبُهِ السَمَاوية بين عِلمُ الدُنيا وعِلم الآخِرة، ليكونَ القرآنُ الكريمُ آخِرُها، وأرسَلَ المُرسَلينَ والأنبياءَ للعَالَمينَ ليَكُونَ مُحَمَّد خاتِمُهم.

هذا ما جاء ذِكرَهُ في آيات الذكر الحكيم وما تمَّ فهمُهُ مِنَ أحاديث المصطفى المختار وسيرته النبوية المطهرة، والتي نعمَل هُنا في هَذا الكِتاب على دِراستِها بحرصٍ شديد والتمعُّن فيها من خِلال التَدرُّج المدروس في شَرحِ المَفاهِيم الدِينية والعِلوم القُرآنية المُعتَمدة في هذا الكتاب، ثم يتم بعدَ ذلك إسنادُها بحقَائِق مَنطِقيةَ وعِلمية تم إثباتها ببَراهين وأدِلَةٌ دامِغَة، لا يُنكِرُهَا عَاقِلٌ، يَعقَلُ الأُمورَ كَمَا هِي أو يَتجاهَلُها باحِث مُخلِصٌ يقصدُ الحقيقة بتفاصيلِها.

ولا يفوتنا أن نذكر بأن على المُسلمين ألاّ ينسوا واجِباتهُم والتزاماتهم أمام الله وأمام رسولهِ والمؤمنين في تحمُلِ مسؤولية حمِل الرسالة السماوية والمُتمثِلة في دينِ الإسلام للناسِ أجمعين،

وألاّ ينكروا ذلكَ الشرَفَ العَظِيمَ وتِلكَ المَكَانَةُ المَرمُوقةُ التي خَصَّهُم الله بها دون الخلائق ، ذلك بأنَّ يَكونَ منهُم وفيهُم ، رَسولُ اللهَ وخَاتِم الأنبياءِ والرُسل سَيدُنا مُحَمَّدٌ ﷺ.

كيف لا والمُسلِمون بِذلِكَ قَد تَمَّ إكرَامَهُم مِن قِبَلِ اللهِ الواحِد القهَّار غَاية الكَرَم ، وأعزَّهُم وميَّزَهُم الخالِق عن كامل خَلقِهِ كُلَّ العزَّةِ والتَميُّز ، وذلك بتكليفهم مِن قِبَل اللهِ العزِيزِ القَدير ورسولِهِ الأمين بِحَملِ الأَمَانَة ونَقلِ الرِسَالَة بِكُلِ صِدق ووفَاء للبَشَرية جَمعاء ، كَي لا يَكونَ لِلناسِ عَلى اللهِ حُجَةٌ مِن بَعدِ الرُسُل أو مِن بَعدِ الكُتُب أو النُذُر ، هذه الأمانة و الرسالة المُتَمثلة في الرَّحمَةِ العَظِيمَةِ المُهدَاة لِلبَشَر أجمَعين والموجودة في الكِتابِ الحَكِيم وهو القُرآنُ الكريم وسُنَّةِ نَبيهِ المُصْطَفَى الأمين .

**كَما جَاءَ في قَولِ العزِيزِ الحَكيم مِن سُورَةِ النِسَاء الآية ١٦٥:**

﴿رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾.

وبما أنَّ المُسلِمينَ هُم أحفادُ خَاتِم النَبيين المُصطفى الأمين فهُم بِذلِكَ ورثَةُ رسالَتِهِ ، والمُستَأمَنُون على وصيَّتِهِ ، والمُبشِرين بجنَّة النَعيم لِعبادِ اللهِ المُخلَصين ، وهم أيضاً المُنذِرينَ بالجَحيم والعَذَابِ الأليم للكافِرين بأنعُمِ اللهِ وفَضلِهِ على العَالمين . وذلك لما هم فيه من عزةٍ وشرفٍ عظيميين .

أما السُؤالُ الذي يَطرَحُ نَفسَهُ هُنا هو: أينَ المسلمين مِن هَذا كُلِهِ وذاك ؟

فهَل هم كَمُسلِمينَ فِعلاً أعزَّاءٌ ؟ أو كَمُؤمِنينَ فِعلاً شُرَفَاء ؟

ومَا هو مِقياسُ العزَّةُ والشَرفُ في الوقتِ الحَاضِر يا تُرى ؟

كي نُجيب على هذهِ الأسئلة بصدقٍ وإخلاص علينا أولاً بمصارَحةِ أنفسنا ، فبِفَضلِ اللهِ يمتلِكُ المُسلِمُونَ ، الشيء الذي يبحث عنهُ الناس أجمَعين ، ألا وهو العِلمُ الخَالِص النَقيُ والمُطلَق الموجود في القُرآنِ الكريم ، فلماذا يلهَثُونَ وراءَ عِلوم وضعية دِنيوية بَحتة ، مضحينَّ بذلك بالغالي والنفيس مِن مالٍ ودينٍ وعزَّةٍ وشَرف ، ليصبحَ المُسلِم عالةً على الكافِر ومعتمِداً عليهِ في كلِ شيءٍ ونقصدُ بذلك الملبس والمأكل والمَشرب وحتى في المبيت والعمل ، مع انهم يعلَمونَ جَيداً بأنَّ ذلك العِلم الرباني يُغنينا عن كلِ هذا خصوصاً وهو مَدعُوم بِما جَاءَ في الكُتُبِ السَمَاوية الأُخرى

ومؤيد مِن جميع الرُسُلِ والأنبياءِ ، وبأنَّ هذا العِلمُ المُطلَق المتميز عن غيرهِ مِنَّ العِلوم الوضعية غير القابل للتعديل أو التطوير هو خاص بنا كمسلمين فقط، ولا يمنعنا شيءٌ مِن الاستفادة منهُ سوى أن نفتّحَ عقولنا للعلمِ والنور، وأن نُصفّي قلوبنا من الغلّ لبعضنا بعضاً، ونخلص النية لله الواحد القهّار .

لأن المُسلمين في النهاية هم الوحيدون من بني البَشَر الذينَ يستحقونَ ذلك الخَير بسبب كونهم المُوحِدينَ لله الواحد القهّار حق وحدانيته ، وهُم أيضاً الوحيدون مِن بين خَلقِهِ ، المُمارسُون لَدينِهِ الحَقَّ على الأرضِ ، إتباعاً لأمرِ اللهَ عزَّ وجَل في قَولِهِ تَعالى مِن سُورةِ آلِ عُمران الآية ٨٥:

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

فبهذهِ الحالة يكونُ تفضُّل الله عَلينا بذلك العِلم المُطلق قَد جَاءَ نَتيجة إستحقاق وأولوية ، كوننا الوحيدون المؤمنونَ باللهِ وبوحدانيتَهُ من بين الخلائق أجمَعين، هَذا مِن ناحية أما من ناحية أخرى فلأننا مسلمون، نمتلك الشرف العظيم بين الأمم بأنَّنا خيرُ أمة أُخرِجَت للناسِ وبأنَّ فيها المُصطَفى ﷺ ، وهو الرحمةُ المُهداة للناسِ أجمعين .

وعليهِ فكلُّ مُقومَاتِ العزَّةِ التي يمنحُهَا القُرآنُ الكريم موجودة بين أيدينا ، نقرؤها ونَسمعُها ونَدرُسُها كلَّ يوم ، ولكِن -ويا للأسف- قراءتنا لآياتِ الله ولعلمِهِ وسماعنا لها تتم بعقول مَشغولةٌ بالكسبِ والتحصيلِ، وبقلوبٍ ملئت بُحبِ المالِ والبنين ، وبعيونٍ تَنظُر وتَتطلّع إلى ما متّع اللهُ بهِ القومِ الضَالينَ والكافرين .

ونتيجة لذلك أضحينا كعزَّيزِ قومِ ذَل ، فبعدَ أن كانَ مِن المفروضِ أن نسودَ بعلومِ القرآنِ أصبَحنا عبيداً بعلومِ الكفَّارِ . وذلِك بالرغمِ مِن أنَّ مُقوماتِ الشَرفِ والرفعة التي نحتاجها هي موجودة فينا كمسلمين ، حيث نجدها في نسبنا ودمنا الذي فيه نفحة مِن النُبوةِ الطاهِرة السمحاء ، ولكننا بحاجة إلى وعي وفَهمِ الأمورِ على حقيقتِها كي نَستَحِقَّ هَذا الشرف العظيم ، وكذلك لعقل طاهر ونقي يتقبل كل ما هو صالح ونظيف ، ليكونَ بعدها خالٍ من جميعِ الشوائِبِ الدنيوية ، وحينها فقط نستطيع أن ندرك القيمة الحقيقية لوجودنا ، فنتعامل ونعيش مع الآخرين على أساس من العدلِ والإنصاف والحرية التي يكفلُها لنا الإسلام ويضمنُها لنا الخالق القهّار .

وعليهِ فمِن مُنطلقِ السَعي لَتطهيرِ الأنفُسِ مِن دَنَسِ الدُنيا لِتنالَ نَعيم الآخِرة ، كَان هذا الكِتَاب ، فحقيقة علم الكتاب تتجلى بحقيقة علم الله الذي وسع علمهُ كل شيء على الاطلاق .

# حقيقة علوم الكتب السماوية

إن طهارة النفس تكون فقط بإخلاصها وولائها المطلق لله الواحد القهّار، والمقصود بالولاء المطلق هنا ألاّ يقبل الإنسان المؤمن بأي تشكيك أو تزوير للحقائق الثابتة ، والتي من أهمها أن الله هو الأول والآخر وهو الظاهر والباطن، وأنه هو وحده القاهر فوق عباده.

وبناء عليه يتوجّبُ هُنا على عبادِ الله جميعاً أن يعودوا إلى كُتُب الله السماوية لِدراسة علومِها وتعاليمها السمحاء ، لتكون بعدها أي هذهِ الكُتب هي المرجع الأول والأخير في جميع أمور حياتهم دون استثناء ، فليس هناك أمر ولا حدث يحدث على سطح هذه الأرض أو في هذا الكون إلا أن يكون تفسيرهُ موجوداً في الكُتبِ السماوية بشكلٍ عام وفي القرآن الكريم بشكلٍ خاص، وذلك بسبب عِلمِ اللهِ المُسبَق به وبحدوثه وأنهُ قد تم ببرَكَتِهِ ومشيئَتهُ وحده لا إله إلا هو .

لذلك فسبيلنا الوحيد لمعرفة حُكم اللهِ في هذا الشأن أو ذاك ، يكون باللجوء إلى دراسة كتبه المرسلة للعالمين وبتتبع سيرة أنبيائه المرَسلين ، وبهذه الطريقة نسلك سبل الصالحين من عباد الله المخلَصين ، فَنكون بإذن الله بعدها من الفائزين في الدنيا والآخرة ، ومن ورثة جنّة النعيم، فذلك هو الفوز العظيم .

قد يكونَ هذا الكلامُ ليسَ بالجديدِ على مسامِعنا ، أما الجديد هُنا فهو تركيزنا على مُصطَلح مُحدد ،ألا وهو مصطلح علم الكتاب ، والذي على أساسهِ كانَ عنوانُ هذا الكِتاب حيث نعني به جميع العلوم التي تخُصُّ بني الإنسان تحديداً شريطة أن تكون مُستوحاة مِن القرآنِ الكريم ومِن الكُتُبِ السَماويةِ الأخرى، وبذلك يتم تحقيق مبدأ الكمال والشمولية في إحاطتهِ للعلوم البشرية .

والذي نقصُدهُ بجميع العلوم هي تلك المفاهيم التي تعمل على توسيع مدارك الإنسان في محيطه الدنيوي ،أي تنمي قُدراتهِ العقلية والجسدية لتُزيد بذلك مِن استقلاليتهِ ورفاهيته وبالتالي حريتهِ الشخصية، وتساعده في نفس الوقت على فهم وتفسير مُعظم الظَواهِر والأحداث التي تدور من حولهِ ، وطَرحِها كَبديلٍ حقيقي وواقعي للعِلوم الوضعية الحالية والمبنية بشكلٍ أساسي على الكُفرِ والإلحاد ،والمُعرَّضة بشكلٍ حتمي للاندثار والفَناء ، فما بُني على باطل لا يدوم ، ولا يمكن لأي عِلمٍ أو مَعرفة في هذا الكون أن تَستَمِر طَالما أنها لم تجد شرعيتها ومصداقيتها في الكتب السماوية .

دليلنا على ذلك نجدهُ في إندثار الكثير من العلوم الإنسانية السابقة والخاصة بالحضارات القديمة ، وكذلك ما نُلاحِظهُ مِن عدم استقرار وكثرة التحول في العلوم المعاصرة لزماننا الحالي وفي شتى ميادينها المختلفة مما يؤهِلُها للاندثار كسابقتها .

فعلم الكتاب يتميز بالشمولية ، لأنهُ في حقيقتهِ عِلمُ الله الذي وسعَ كلَّ شيء ، و هو العلم الوحيد ، الذي خصَّ به الله الخبير العليم عبادَهُ الصالحين وذلك كما جاءَ في القُرآنِ الكريم ، ليكون لهم نوراً وهدى في الدنيا والآخرة .

ولن يُضيرُنا هُنا جمَع أو حَصر جميع أسماءَ وعناوينَ العلوم الإنسانية بمصطلح واحد ، خصوصاً وأنَّ هَذا المُصطَلح هو المُسمَّى الوحيد الذي نجدهُ في القرآن الكريم ، مما يدعوننا للاعتقاد بأنَّ جميع العلوم الإنسانية قد تمَّ اختصارها بمصطلحٍ واحِد هو علم الكتاب طالما أن مصدر ومنشأ جميع هذه العلوم هو الله الواحد الأحد .

فتجزئة المفاهيم الإنسانية هُنا لا تساعد ألا على ضياعها وتشتتها ، وعلم الله هو العلم المطلق الذي لا يقبل التجزئة أو التحديث أو التغيير ، فهو إذاً ضَالتُنا و مُبتَغانا في هذهِ الدنيا وفي الآخرة إن شاء الله .

وعليه فعلم الكتاب في الدنيا هو نفسه علم الكتاب في الآخرة ، لأنَّ عِلمَ الله المُطبَّق في الدُنيا ، هو نَفسُهُ عِلمَ اللهِ المطبق في الآخرة ، إذ أنَّ المصدر واحِدٌ لِكِلا الحَالتين وهو اللهُ سُبحانَه ، بمعنى أن هذا العِلم لا يَندَثِر أو يَضيع بموتِ الإنسان أو فَنائه كما هو حال العلوم الوضعية الحالية ، وذلك لأن دور الإنسان أمامهُ مقصور فقط على اكتشاف ما هو موجودٌ ومُيسَّرٌ فقط ولا يجوزُ لأي إنسان بأنَّ يَتعداهُ لأكثَرَ مِن ذلك ، وإن تعداه يكونُ خَلقاً وهذا ما لا يقدر الإنسان فعلهُ بمفرده .

مَن هَذا المُنطَلق نَفهَمُ بأنَّ مِن ضِمنِ الشُروطِ الأساسية لِدراسة عِلم الكِتاب ، هو إدراك فاعلية تِلك العِلوم المستوحاة منهُ في حياتنا الدنيا و في الآخرة ، فمِن أهمَّ ما يُميِّزُها عَن العِلوم الأُخرى هو صَلاحيتُها لِبَني الإنسان في جمَيع الأحوالِ والظُروفِ والأمكِنة قَبلَ الموتِ وبَعده ، وكذلك كونَ عُنصُر المَكانِ والزَمانِ بمفهومِنا الحالي مِن ضِمَن العَناصر الغير مأخوذة بِنظرِ الاعتبارِ على الإطلاق ، فنحنُ نتكلمُ هُنا عَنِ العِلمِ المُطلَق ، أي العلم المؤسس لكل العلوم الدنيوية ، وهو أيضاً العِلم الذي قد تمَّ على أساسِهِ تأسيس الكون وخلقه من اللّا شيء ، أي مِن العَدَم كما سيتم إثباته لاحقاً .

لذلك فالزَمَان والمَكان الخاصّان بالأرضِ والسَماءِ لا يكونان إلزاميان في تكوينِ الخَلقِ ، وذلكَ لِسببٍ بَسيط ألا وهو أنَّ كِلاهما مَشمُولانِ بِعمليةِ الخَلقِ، أي إنهُما مَخلوقانِ أيضاً، فالخالِق الذي خَلقَ كُلَّ شَيءٍ وقدَّرهُ تَقديرا، هو نفسهُ الذي حَدَّدَ لِخَلقِه الزَمان والمَكان الخاص بِكُلِ مَرحلَةٍ مِن مَراحِلِ خَلقِهِ.

وعَليهِ فعِلمُ اللهِ المُستَخدِم في خَلقِ وتَنشئة وتَكوينِ الكَون مِن حَولِنا ، هو عِلمُ موجودُ بوجودِ الخالِق ، لأنَّهُ في النهايةِ هو عِلمُ اللهِ الخاصُ بِهِ وحدهُ والذي لم يُشاركه فيه أحد مِن خلقهِ إلا بِعلمِهِ وبإرادتهِ وحدهُ، لِنَجِدَهُ بالتالي من ضمن صِفاتِ وأسماءِ اللهِ الحُسنى وهو اسمُ (العَليم)الذي لَديه العِلمُ بكلِ شيء و(الخَبير) الذي لديهِ خبَرُ كلُ شيءٍ على الإطلاق .

مما سبق شرحه يتّضح لنا بأن حقيقة علوم الكتب السماوية تتمثل بمرجعيتها لله والحق والتي جاء ذكرها بالقرآن الكريم بصيغة علم الكتاب.

# حقيقة أهمية علم الكتاب

سَوف نتناول مَوضوعَ عِلمُ الكِتاب بالتَفصِيل والشَرح المُستَفيض في هذا الجزء من سلسلة حقائق في علم الكِتاب ، و الذي يَشمَلُ حقائِق وبُحوثاً مُتَخصِصَة في مجالات عدة ، تنفرد بها هَذه السلسلة بالبَحثِ والتدقيق ، دوناً عن غيرها ، فهذهِ الحقائِق من الأهمية بمكان لكونها مِنَ المواضيع المهمة لِكثيرٍ مِن الناس من حيث سَعيها إلى تفسيرِ أغلبية الظَواهِر الكَونية التي تحدث من حولنا ، وذلك في محاولتها للوصول إلى حلٍ يُرضي جميع الأطراف من حيث اشباع رغباتهم ونزواتهم البشرية ، بالرغم مِن صُعوبة هَذا الأمر بالذات . والتأريخ يخبرنا بأنّ مُحَاوَلة بَعْض الأشخاصِ تَفسيرُ هَذهِ الظَواهِر قَد سَبَب ، ومِنذُ زَمنٍ بَعيد ، حُدوثِ العديدِ مِن النِزاعاتِ الفِكرية والطَائفية والعِرقية أيضاً ، وهذا لِما لهذهِ الظواهِر من تأثيرٍ مباشِر على حياة وفِكرِ الإنسان .

فبِسبَب هَذا التَأثير المُباشِر لها كَانَت محاولات الإنسان لمواجهتها عن طريق استحداثِ أساليب فكرية مبتكرة وذلِك لتنمية قدراتهِ الجسدية حتى يتمكن بالتالي مِن مواجهة تلكَ الظواهر والمتغيرات البيئية ، نذكر منها على سبيل المثال الكوارث الطبيعية كالأعاصير والزلازل وما إلى ذلك من أمور يصعب على الإنسان مواجهتها بمفرده .

فكانت النتيجة ظهور العلوم الوضعية والتي قد تفرَّعت إلى مجالات عدة كالفيزياء والكيمياء وغيرها ، لتُعين الإنسان على تحوير وتغيير بيئتِهِ المفروضة عليه وذلك بالصورة التي تمكِنَهُ من الصمود لفترة أطول أمام تِلكَ المُتغيرات ، مما مكنهُ ذلِك من تغيير صورة المواد الموجودة حولهِ كالحديد الخام وخشب الأشجار وكذلك الحَجر وجلودِ الحيوانات ليَكسي بَدنهُ وليبني البيوتَ الآمِنة لهُ ويُوفِّر وسائل نَقل سَريعة وسَهلة وما إلى ذلك من أمور دنيوية تعينه على مواجهة تلك التحديات .

مِن هُنا كانَ سَعيُ الإنسان الدائم عَلى تَطوير تِلكَ العِلوم الوضَعية وذلك لِتعزِّيز كَفاءتها في مواجهةِ تلك التَحدياتِ ، مَع العِلم أن هذه التحديات بقيت على ما هي عليه منذُ آلافِ السنين ، فخوف الإنسان الدائم من المستقبل وعدم قناعته بما يمتلك من عِلوم يجعله يواصِل البحث عن البديل الأمثل والأفضل لتلكَ العلوم ليصل بها إلى المرحلة التي تمكِنهُ من التغلب على تلك الظواهر والانتصار عليها كلياً ، ليتخلص بعدها من تهديدها المستمر لحياة الانسان وإنجازاتهُ على الأرض .

وكما نقرأ في كُتب التاريخ الخاصة بالحضارات القديمة فإنَّ نتيجة هذا الاستمرار في البحث كانت التَخبُط وخروج تِلك العِلوم عَن السَيطرة مما أدى إلى إعطائِها عكس النتيجة المرجوة مِنها .

فبدلاً مِن أن تُساعِد تلكَ العلوم شُعوبها على الاستمرار والرقي ، عملَت على فنائها واندثارها في صفحاتِ الزمان ، والأمثلة على ذلك كثيرة وسوفَ نتناولها لاحقاً ، أما ما يخُص الإنسان الحالي ، خصوصاً وأنهُ يواجه تحدياً جديداً مِن نَوعِهِ بعيداً عمّا أَلِفَ أجدادهُ من تحديات ، ألا وهو خوف الإنسان من نفسه وذاته ، وهذا يرتب علينا العمل على إيجاد سبل جديدة تتناسب وتوجه تلك التحديات .

فلقد أصبح الإنسان الحالي نتيجة لتلك العلوم خطر على أخيه الإنسان وعلى نفسه أيضاً ، وذلك بسبب امتلاك فئة محددة من البشر إمكانيات وقدرات تدميرية هائلة تُعادِل أضعاف ما تسببه الظواهِر الطبيعية كالزلازل والبراكين من دمار شامل وخراب هائل في الأرواح والممتلكات ، نتيجة إلى ما تم إنتاجه مِن قَنابِل نووية وهيدروجينية بمساعدة علومه الوضعية تلك .

ولا يجدر بنا هُنا ذِكر الفَوائد الكَبيرة والرفاهية العَالية التي وفرتها هَذهِ العِلوم لبني الإنسان خصوصاً ونحنُ نتكلم عَن دمار البشرية وفنائها ، مما يؤكِد لنا فَشل جميع الفَلسفاتِ القَديمة مِنها والحَديثة وما تَبِعها مِن علوم وضعية ، في تحقيق ما تصبو إليهِ الشعوب مِن استقرار وأمان .

فهذهِ العلوم تُعتَبر السببُ الرئيسي لِما نُعانيه حالياً مِن تهديدٍ حقيقي لِوجودِ البَشرية على كَوكَبِ الأرض .

هذا هو الدافع من وراء سعينا في هذا الكتاب لطرح مجالٍ جديدٍ في التفكير الفلسفي ، والذي يَسعى لِربطِ المَخلوق بالخالِق والفرع بالأصل ، تماماً كَما يحدُث للطفلِ عِندَما يَشعُر بالخوف والفَزع حيث يتوقف عَن اللعب والعَبَث ليلجأ ويحتمي بالشيء الذي يُعطيهِ الأمان والراحة ، أي إلى أمِّه ، لأنها المَصدرُ الحَقيقي والوحيد للأمان والسعادة بالنسبة لهُ ، ومَن لَنا نحنُ بني البَشر سِوى أن نَلجأ إلى خَالقِنا ومُبدِعنا وهو الله جلَّ وعلا ، الذي مَنحَنا كُلَّ سُبُلِ السَّعادة والهَناء فَقابَلناهُ بالنُكرانِ والجَفاء ، فها نحن ذا نعود لنبحث في الكتب والعلوم المرسلة إلَينا من قبل الخالق جل وعلا عسى أن يهدينا الله إلى سبل الرشاد ، وينير درينا في دروب الظلام ، ويلم شملنا في زمن الشتات .

أسألُ اللهَ العزَّيز القدير أن يُزيحَ عَن أُمَةِ الإسلام الغُمامة السَوداء التي تُحيطُ بها ، وأن يُنيرَ عُقول المُسلمينَ بالرحمةِ المهداه ، و يَجعل فيها الهُدى والصَلاح إلى يومِ الدين ، يومَ لا يَنفعُ فيهِ لا مَالٌ ولا بَنونَ ، إلا مَن أتَى اللهَ بِقلبٍ سَليم .

فالسلامة اسلامة يا معشر المسلمين ، قبل الندامة .

وعليه فحقيقة أهمية علم الكتاب نجدها في حقيقة أهمية الخلاص مما نحن فيه من تخبط ، وحقيقة كون الله هو الوحيد القادر على تخليص البشرية من التشتت والضياع عن طريق إتباع تعليماته وتوجيهاتهِ المستوحاة من علمهِ أي من علم الكتاب .

# حقيقة مصطلح علم الكتاب في القرآن

قال الله العزيز القدير في سورة الرعد الآية ٤٣ :

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾

في هذه الآية الكريمة جاءَ ذِكرُ الكفّار وهُم يُشكِكونَ في رسالةَ نبيُ الله مُحَمَّدٌ عليه أفضَلِ الصَلاة وأتمُّ التسليم ، فكانَ أمرُ الله سبحانهُ للرسولِ الكريم ( بأنَّ يكتفي بشهادة الله وحدهُ، ثُمَّ يتبعُها بعد ذلك بشَهادة مَن عِندهُ، عِلمُ الكِتاب ، وذلك للردِّ عليهم فيما يخصُّ هذا الشأن العظيم ، لأنَّ شهادَةُ اللهِ عزَّه وجَل المُدرجة في آياتِ القرآنِ الكريم هي خَيرُ ردٍ وأبلَغُ حُجَّةٍ على تَشكِيكِهم المَزعوم ، فاللهُ سبحانهُ وتعالى هو الذي كلَّف الرسولِ المُصطفى ﷺ بالرسالة ، وهو بالتالي أعلَمُ بحالهِ وهو سُبحانهُ الوحيد المتكفِّل بنُصرتِهِ على أعدائِه، لذلك فَهو خَيرُ نَصير، وخَيرُ حُجةٍ عَلى الكَافِرين . أمَّا بخصوص شهادة من عِندهُ عِلمُ الكِتاب وهي التي تأتي بعد شهادة الخالِق بأنَّ الرسول حق والقرآن حقٌ مِن عندِ الله العزيز القدير ، فهذه الآية تشير بأن شهادة من عنده علم الكتاب شهادة عظيمة ذاتُ مصداقيةٌ أكيدة عندَ الله و الناسِ أجمعين .

وكأنَّ الرسولُ يقولُ للقوم الكافرينَ برسالتهِ للعالمين، بأنَّ هذهِ شهادةُ الله تجدونها في كتبهِ السماوية المنزَّلة على العالمين فإن لم تؤمِنوا بها فهذهِ شهادة أصحابِ العِلم والمعرفة من بينِكم والمتميزين عنكُم بما لديهِم مِن عِلمٍ عَظيم قَد اكتسبوهُ عن طريقِ دراستهِم للكُتبِ السماوية، وهُم بِذلِك نالوا مكانةً رفيعةً عند الله سبحانهُ وعند الناسِ أجمعين .

مِن هَذا التفسير المُختَصر لهذهِ الآية الكريمة جاء اسم هذا الكِتاب وفكرَتُه لِتكونَ انطلاقةً حقيقية لعصرٍ جديدٍ مِن العِلم والمعرفة المبنية على أسسٍ قوية لثوابت حقيقية وواقعية نستلخِصُها من الكُتبِ السماوية ، وأولها القرآنُ الكريم لكونهِ الكِتاب المُقدس الوحيد الذي حفظهُ الله بكلماتهِ كي لا تطلهُ يدُ الغِشِّ والخِداع فتعبَثُ بهِ كَما فَعلت بالكتبِ السماوية مِن قبلهِ وذلك بناء على ما جاء في القرآن بأن جميع الكتب السماوية السابقة قد تم تعريفها والعبث بها . مما يدعوننا لعدم الخوض فيها كونها غير مسندة أو صحيحة . ونكتفي بالإشارة إليها من قريب أو بعيد وذلك بالاسم فقط وليس المضمون . آملين وداعينَ إلى الله أن يجعل من بينِ أصحابِ علمِ الكِتابِ

مجموعةٌ تتكفل بإعادة صياغة هذهِ الكُتب السماوية بالإسلوب الذي يُزيل عنها كلَّ لبسٍ وغشٍ قد أصابها بحيث تتوافق مع ما جاء في القرآن الكريم مِن هُدى وصَلاح للناسِ أجمعين ، لتكونَ هذهِ الكتب السماوية بعدها ذات مصداقية وفائدة لجميع خلق الله وليتمكنُ المسلمون من الاستفادة مِن علمها وأحكامها الجليلة عن طريق دراستها والتعمق بها ، فالمسلمون مطالبون من الله الخالِق الوهَّاب بالإيمانِ الكامل والتصديق اللامحدود بجميع كتبهِ السماوية المُقدسة دونَ إستثناءٍ لأي كِتاب منها ، وإننا لنجد هذهِ المطالبة في العديد من الآيات القرآنية كالآيات الأوائل من سورة البقرة من الآية ١ إلى الآية ٥ حيث جاء فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ الم ❖ ذَلِكَ الكِتَابُ لا رَيبَ فيهِ هُدًى للمُتَّقِينَ ❖ الَّذِينَ يُؤمِنُونَ بالغَيبِ ويُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقنَاهُم يُنفِقُونَ ❖ وَالَّذِينَ يُؤمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيكَ وَما أُنزِلَ مِن قَبلِكَ وبِالآخِرَةِ هُم يُوقِنُونَ ❖ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِن رَبِّهِم وأُولَئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ ﴾ صدق الله العظيم .

أو كقولهِ تعالى في أواخِر سورة البقرة الآية ٢٨٥ : ﴿ آمَنَ الرَسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيهِ مِن رَبِّهِ والمُؤمِنُونَ كُلٌ آمَنَ باللهِ ومَلائِكتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَينَ أَحَدٍ مِن رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعنَا وأَطَعنَا غُفرَانَكَ رَبنا وإِلَيكَ المَصِير ﴾ .

فهذا الإيمان يتطلب مِنَّا دراسة وفهماً عميقاً لهذهِ الكتب ، وعليه يتوجَبُ علينا أولاً أن نحصل على النُسخِ الأصلية لهذهِ الكتب المُقدسة ، وإذا تعذَّر ذلك فعلينا أن نتحدى أولئك الذين عَبثوا بها لنُعيدها إلى وضعها الصحيح عن طريق مقارنتها بالقرآن الكريم الذي نعرفهُ جيداً ، فكلُّ ما نجدهُ يخالفُ آياتِ الله البيِّنات الموجودة في القرآن العزيز علينا أن نحذفهُ مِن هذهِ الكتب الطاهِرة حتى يكون بعدَ ذلك بينَ أيدينا كُتُبٌ مُقدَّسة هي أقربُ للأصل مما هي عليهِ الآن .

إذاً ، فهنا تكمُن أهمية أصحابِ عِلمِ الكِتاب بالنسبةِ للمسلمين وللناسِ أجمعين ، وكيفَ لا وهُم من شهِد اللهُ لهُم بالعلم والمعرفة لدرَجة الأخذِ بشهادتهم في قَضيةٍ عَظيمةٍ وحَسَّاسَة ألا وهي تأكيد نبوة ورِسالة المُصطفى ﷺ .

فعلى هذا الأساسِ كانَ عِلمُ الكِتابِ عِنواناً لَنا ، وموضوعاً رئيسياً نَتحدثُ عَنهُ ونَستشهدُ بهِ في هَذا الكِتابِ ، وذلك لأننا ندرك بحق أهمية مَفهومِ عِلمِ الكِتابِ لَلذينَ يُؤمِنونَ باللهِ واليومِ الآخِرِ .

فتفسيرُ ما جاء في سورة الرعد السابقة الذكر بقولهِ تعالى ﴿ ومَن عِندَهُ عِلمُ الكِتاب ﴾ نجدهُ واضحاً وجلياً بمفهومهِ العام والمُبسَّط ، فالمقصودُ هُنا ( واللهُ أعلَم ) الشَخصُ الذي عِندَهُ عِلمٌ مِنَ

الكِتاب ، والمقصود بعلمِ الكِتابِ هُنا ، هو عِلمٌ كباقي العِلومِ الدينية المعروفةِ لدينا مثلُ عِلمُ الفِقهِ وعِلمُ الشَريعةِ وعِلمُ اللاهوت وغيرُها من العلوم المختصة في دِراسَة الكُتبِ السَماوية على وجهِ الخُصوص ، ولكنَّهُ يتميَّزُ عنها مِن حيثُ التأسيسِ والمَنشأ .

فمفهومِ عِلمُ الكِتابِ قد بني على أساس علم الخالق جلَّ وعلا الذي ارتضى سبحانهُ أن يضع بعض علمهِ الخاص بالبشر في كتاب كريم ليكون جُزءاً مِن أُم الكِتاب ، وأُم الكتاب هو ذلك الكتاب العظيم الذي فيهِ العلم الشامل لكل شيء والذي نجدهُ محفوظاً في السماء عندَ الخبير العليم حيث يتمتع بمكانة عالية وحكيمة لدى رب العالمين والخلق أجمعين ، و نستنتج هذهِ المفاهيم من تفسيرنا لقولهِ تعالى في سورة الزُخرُف من الآية ١ إلى الآية ٥:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حم ❖وَالكِتابِ المُبينِ ❖ إنَّا جعلناهُ قرآناً عربياً لعلَّكم تعقِلون ❖ وإنَّهُ في أُمِّ الكِتابِ لَدينا لَعليٌ حَكيم ❖ أفنضربِ عَنكُم الذِكرَ صَفحاً أَن كُنتم قَوماً مُسرفين ﴾ صَدَقَ اللهُ العَظيم .

فالكلمة المكونة من (ح) و( م) هي في نظرنا والله أعلم عبارة عن حروف جاءت لتعطي مخارج صوتية محددة لتولد لدى القارئ ردود فعل خاصة تهيئهُ بالتالي ليتقبل الموضوع ويفهمهُ بالصورة الصحيحة ، وذلك بعد أن يتكون لديهِ الانطباع الأولي عمّا سوف يأتِ بعد هذهِ الأحرف من مواضيع مهمة .

نلاحظ ذلك جلياً في عفوية التصرف البشري عندما يباشر في إلقاء كلمة أمام حشدٍ كبير أو في محافل معينة فنجده يبدأ بإصدار مخارج صوتيه خاصة به ليثير انتباه من حولهِ أو ليستعد هو شخصياً كي يتمكن من إلقاء كلمتهِ ، وعليه فإننا نجد أنَّ كلا الحرفين السابقين إنما جاءا للدلالة على الرحمة العظيمة والعلم الحقيقي الذي يمكن أن يتبيّنها الإنسان في الآيات التي تليهما ، حيث جاء قولهُ تعالى ﴿ وَالكِتابِ المُبينِ ﴾ ليضع كتاب الله العزيز وكلماته المحكمات التي نجدها في القرآن الكريم لتكون بداية هذهِ السورة الكريمة لتشير انتباه الناس إلى ذلك الكتاب وإلى تلك الكلمات ، فجاء وصف (المبين) بمعنى واضح الدلالة الذي لا يعتريهِ أي غموض أو صعوبة في الفهم لمن يخلصون النية ويتقون الله في فعلهم وقولهم فتنجلي المعاني البيِّنات أمامهم وتتضح الصورة لديهم فيروا الأمور على حقيقتها التي خلقها الله بها ، وهذا التفسير تؤكدهُ الآية التي تليه لقولهِ سبحانهُ ﴿ إنَّا جعلناهُ قرآناً عربياً لعلَّكم تعقِلون ﴾ فنزول القرآن الكريم باللغة العربية يخدم

الغرض الذي جاء من أجلهِ وهو البيان في الدلالة والمعاني التي تحتويهِ آياتهِ المحكمات، ولعلَّ ذلك يفيد الناس ويجعلهم يعقلون ويفهمون حال دينهم ودنياهم على حقيقتهما التي خلقها الله بهما.

وهذا تكريم ورحمة عظيمة من الخالق الوهَّاب اتجاه خلقهِ وعبيده الصالحين والمؤمنين به بحق ليسهل عليهم فهم دينهِ.

حيث جاء قولهُ تعالى ﴿وإنَّهُ في أُمِّ الكِتابِ لَدينا لَعليٌّ حَكيم﴾ لتأكيد مرجعية القرآن الكريم إلى الله وإلى علمهِ الشامل لكل شيء على الإطلاق والكامل بمعنى الكلمة فلا ينقصهُ شيء أبداً، ليصبح بالتالي من المستحيل تطويره أو الإضافة عليه في أي ظرف أو زمان وأي مكان كان، فنسخة هذا الكتاب موجودة في أم الكتاب والمحفوظة بدورها عند الحكيم العليم، وبالتالي فهي موثَّقة ومحكمة في مكان لا تطله أو تصل إليه أي يد مهما كان شأنها أو مقامها عند الخالق العظيم وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على عظمة الكتاب الذي بين أيدينا والذي نتصفحهُ ونقرأ آياته ونردد كلامهُ كل يوم وكل ساعة.

فهل ياترى نحن ندرك حقاً معنى أن يكون هذا الكتاب العظيم الشأن عند رب العالمين بين أيدينا ومكتوباً بلُغتنا ؟

وماذا يمكن للناس أن يطلبوا أكثر من ذلك كي يعوا ويفهموا ليعقلوا، أو هل يجب على الله والعياذ به وكما قال سبحانهُ ﴿أفنضرب عَنكُم الذِكرَ صَفحاً أَن كُنتم قَوماً مُسرفين﴾ أن يبعد عنكم العلم والفهم أي الذكر ويضعهُ جانباً كعقاب لكم بكونكم قوماً مسرفين ومفرطين بحقوقكم وبدينكم وبمستقبلكم ؟

هذا سؤال مهم جداً بالنسبة لنا جميعاً وعلينا أن نفكر به ملياً قبل أن نرد عليه أو أن يكون لنا تصرف باتجاهه.

فالقرآن الكريم بذلك يكون ذا صِلة وثيقة بعلم اللهِ المطلق الذي وسع عِلمُهُ كلَّ شيء، فهو يتميَّز عن العلوم الوضعية الأخرى من حيث الفاعلية والدوام، ويتفضل عليها من حيث القيمة والأهمية التي أولاها له رب العالمين.

فعِلمُ اللهِ نافذٌ لا محالة، وقوانينه واجبة التَنفيذ والتَطبيق في جميع الأحوالِ والظروفِ، سواءاً كانَ ذلِك في الدُنيا أم في الآخِرة، بمعنى أنَّ ما نَدرُسَهُ هُنا يَسري علينا كبَشر في حياتُنا القَصيرة

التي نقضيها على الأرضِ وكَذلك في حياتُنا الأبدية التي تَنتظرُنا في الآخرة ، وحجتُنا في ذلك نَجدُها جَلية بربطنا الآيات السابقة بالآيات الآنِفةُ الذِكرِ لِنستَلخِص من خِلالهما العِبر والمَفاهيم القيِّمة ، والتي تضمنتهَا صَفحاتُ هَذا الكِتابِ بمواضيعه العَديدة .

ففي هذهِ الآيات جاءَ سَردٌ لقصةِ نبينا سُليمان ( عليه السلام ) عِندما طَلبَ ممن حَولِهِ مِن إنسٍ وجِن ، أن يَحضِروا لهُ عَرشَ بَلقيس مَلِكةُ سَبَأ ، ليكونَ أمامهُ في أَسرَعِ وقتٍ مُمكن ، ولقد كانَ ما كانَ مِن أَمرِها ، حيثُ جاءَ قول اللهِ تعَّالى بهذا الخصوص في سورةِ النمل الآيات ٣٨ ، ٣٩ و٤٠:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قَالَ يا أَيُّهَا الْمَلأُ أيكم يأتِيني بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ❖ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَاْ آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ❖ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَاْ آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِندَهُ قَالَ هذا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ صدق الله العظيم .

عِندَ قراءتنا لهذهِ الآياتُ البيِّناتِ نستنتج بأنَّ مَن يمتلكُ عِلمَ الكِتابِ هُنا هو عبارة عن مخلوق بَشري مِن الإنس ، وهذا بناء على ما جاء في العديد من التفاسير الخاصة بهذهِ الآيات الكريمات ، ومِن سِياقِ تلك الآيات يتضحُ لنا بأنَّ هذا الإنسان يمتلك قدرات وإمكانيات تفوق كثيراً تلكَ التي يمتلكُها الجِنُّ والشَياطين ، وذلك يعود إلى ما يمتلكهُ مِن قُدراتٍ وإمكانياتِ اكتسبها عن طريق ممارستهِ للمفاهيم والعلوم المستنبطة مِن عِلمِ الكِتاب ، والتي مكنتهُ بالتالي من تحدي الشياطين بما لديهِم مِن قِوى شيطانية ، فقامَ بإحضار عرشِ بلقيس بلمح البصر ، وما كان ذلك ليتم إلا بفضلِ الله على ذلِك البشري وعلى العالمين وبمشيئته وحده ، فهذهِ الإمكانيات والقُدرات لا يمتلكها شخصٌ عادي ، وإنما تأتي عن دِراسةٍ وعلم مستفيضين يسَّرها الله لذلك العبدُ بالتحديد ، مما استوجَبَ بالتالي الشُكرَ الجزيلَ لِفضلِ اللهِ علَى نَبينا سُليمان (عليه السلام) بأنَّ جعل أَحدٌ حاشيتهِ إنساناً عنده عِلمٌ مِنَ الكِتابِ ، وما جاءَ ذكرُ الابتلاءِ في هذهِ الآيات الكريمات إلا للدلالة على عظمةِ هذا العِلم الذي يمكِّن صاحبهُ مِن القيام بأعمالٍ خارِقة للعادة والتي قد تودي بالتالي إلى الفتنةِ والغُرور أو إلى التواضعِ والخشوع لله الواحِد القهَّار .

وبعدَ أن تمَّ شرحُ هذهِ الآيات الكريمة بالصورة التي يفهمها الجميع ، باشرنا بربط قدرات وإمكانيات مَن يمتلِك عِلمُ الكِتاب في هذهِ الآيات بعظمة ورِفعة ومكانة هذا الشخصِ نفسهُ عِند

ربِ العالمين والمنصوص عليهِ في الآيات التي سبقت آيتُنا هذهِ، لنجدُ أنفُسَنا بعد ذلك أمام إنسانٍ عادي تميَّز عن غيرهِ مِن بني البشر بعلمهِ المستنبط مِن عِلم الكتاب ليكون بعدها شخصٌ لهُ مكانتهُ العظيمة عِندَ ربِ العالمين وعِند الرُسلِ والأنبياءِ أجمعين .

فهل ياتُرى لعلماءِ البشر الحاليين نفس المكانة الرفيعة التي يمتلكها ذلك الشخص العالِم المَذكور في الآيتين السابقتين؟

لقد جاء في سورة الحج الآية ٧٠:

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ الله يَعْلَمُ مَا فِي السماء وَالأَرْضِ إِنَّ ذلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذلِكَ عَلَى الله يَسِيرٌ ﴾ .

نُلاحِظ هنا أن هذهِ الآية الكريمة قد بدأت بصيغة الاستفهام الذي فيه تقرير يفيد بأهمية وعظمةِ عِلمَ اللهِ الذي يشمل خصائص ومكونات السماء والأرض ، ليلفت الانتباه بالتالي إلى أهمية وعظمة المعلومة الجليلة وهي تلك التي تنوه إلى عِلم الله جلّتْ قُدرتُه -الخاص بالعِلوم والمبادئ التي بُنيت على أساسها السماء والأرض ، وان ذلك كله لا بد أن نجده في كِتاب مقروء مِن قبَلِنا ، بدليل قولهِ تعالى ﴿إِنَّ ذلِكَ فِي كِتَابٍ﴾ حيثُ جاءت هذهِ الجملة مِن الآية الكريمة للتأكيد على أهمية ذلك العِلم الذي يخدم البشرية المُرتبطة بشكلٍ أو بآخر بوجود السماء والأرض ، وبالتالي فهو مُهمٌ جداً بالنسبةِ للإنسان ولوجودهِ ، بدليل قولهِ تعالى ﴿إِنَّ ذلِكَ عَلَى الله يَسِيرٌ ﴾حيث إن هذا الشأن يسيرٌ على الله لدرجة أنه مُدوَّن بأسلوبٍ مُيسر ليسهل قراءتَه ودراستَهُ من قبل عبيده الصالحينَ والمؤمنين به ، وإلا فما فائدة أن يكونَ عِلمُ اللهِ الخاص في السماوات والأرض قد تمَّ وضعَهُ في كتابٍ كريم ، دون أن يكون هذا الكتاب وهذا العلم في متناول الجميع ، ولكون هذا العَمل يسيرٌ على الله كسائِر الأعمال ، فلا يوجد هناك ما يمنع بأنَّ يكون ذلك العلم في كتاب الله الموجه لخلقه وعباده من العالمين ، فالمكتوبُ عادةً يدل على صاحبهِ وهو يدلُّ كذلك على مدى علمهِ وحكمَته ، فأيُّ كلام صادر من الخالق القهَّار ومرسل إلى العالمين ، لا بُدَّ أن يكون صادراً بعلم الله العليم الخبير وبمعرفته - جلّت قدرتُه ليجد فيه العباد الصالحون رحمة الله وحكمته الموهوبة للخلق أجمعين ، فلا يمكن أن يكون لأي كلمةٍ أو حرفٍ في هذا الكتاب المقدس إلا معنى كبير ودلالةٍ عظيمة ، كيف لا وهي صادرة من لدُن خبيرٍ عليم .

ولأننا على يقينٍ بكوننا لم نخلق عبثاً ، وبأنَّنا إلى ربنا راجعون ، ولكوننا أيضاً محاسبون ومسؤولون لا محالة على ما نفعل في هذهِ الحياةِ الدُنيا ، فلا بد إذاً أن يكون في أيدينا عِلمٌ ، أي سلاح لنقاوم الشرَّ فيه وننصُر الخير على أساسهِ ، وإلا لكانَت لنا حُجةٌ على الله في أمرنا هذا ، واللهُ عادلٌ في حكمهِ ، كاملٌ في صُنعهِ ، عظيمٌ في خلقهِ .

فنحن كبشر خُلقنا ضُعفاء أمام التحديات التي نواجهها كل يوم في حياتنا التي نعيشها على الأرض ، وبالتالي فمحاولتنا للاستعانة بمفاهيمَ وعلومٍ محددة مطلب شرعي لنا لا نستطيع كبشر أن نتجاوز عنه .

فعلى سبيل المِثال نحن بحاجة إلى كِسوة لأجسادنا كي تقينا حر الصيف وبرد الشتاء وكذلك نحن بحاجة إلى مسكن آمن لننام فيه وتقر أعيننا ، أما بخصوص الطعام والشراب فهذان لن يتوفرا دون أن يكون بحوزتنا آلة محددة نستخدمها بأسلوب مبني على علم مسبق بطريقة استخدام تلك الآلة ، وذلك حتى يتم التغلُّب على المعوقات التي قد تواجهنا أمام تحقيق غرض الحصول عليها ، وعليه فلجوء بني البشر لاستقطاب مصادر خارجية غير ذاتية ليتم عن طريقها توفير أغلب متطلبات الحياة الخاصة بهم هو أمر حتمي تفرضه طبيعة الحال ، لذلك نرى أن عدالة الله ورحمته اقتضت أن يكون بين أيدينا بعض علمه الذي ينفعنا في دنيانا ليكون بديلاً شرعياً لنا نطرحه حينما يكون هناك تخبط وعدم استقرار في مفاهيمنا ومداركنا البشرية والتي قادت الكثير من الناس وفي معظم الأحيان إلى الضلال واتباع الهوى وبالتالي إلى الكفر والإلحاد .

وعليه فعلم الكتاب يكون هنا هو السبيل الوحيد إلى رحمة مولانا الخالق الأحد في الآخرة ، وهذا العلم الوحيد هو علم القرآن الكريم ومن قبله علوم التوراة والإنجيل وغيرها من الكتب السماوية والتي يسّرها الخالق لبني البشر لتكون نوراً وهدى للناس أجمعين .

ومِن خلال تعمقنا في البحث عن خصائص ومميزات علم الكتاب ، كونه عِلمٌ مستقلٌ عَن العِلوم الدنيوية الأخرى ، توصلنا إلى تعريف محدد لهذا العلم قد لا يُشاركه علم آخر من تلك العلوم المتداولة حالياً في تعريفهِ ، ويتلخص بأنَّه هو العلم الحقيقي والوحيد ، الذي يتيح لنا المجال للوصول إلى الحقيقة المطلقة .

فحقيقة عِلمُ الكِتاب تتجلى بكونه علم مبني على مبدأ الإسلام يختلِف عن العلوم الإسلامية الأُخرى بأنهُ عِلمٌ يعتمِد على قوة التواصلِ الروحي بين العبدِ وربه وأساس مصداقيتهُ في مدى قُدرتهِ على طرح البدائِل والحلول المنطقية والعملية للمشاكِل والمُتغيرات التي تواجه المؤمن في حياتِهِ اليومية ، أما العِلوم الإسلامية الأُخرى كالفقهِ والشريعة وغيرها فهي مبنية على ما تمَّ نقلهُ مِن السلفِ الصالح للأحاديث والسُنن النبوية حصراً ، وعلى ما تمَّ اعتمادهُ مِن قِبَلِ الأئمة الصالحين شرعاً ، وعليهِ فمصداقية هذهِ العلوم تعتمد على مصداقية تلك الأحاديث المنقولة وعلى صِحة تِلك الشرائع التي سنَّها مَن سبقنا في الإسلام ، إذاً فهناك فرقٌ كبيرٌ بين علم الكتاب كعلم ديني إسلامي شامِل وبين العلوم الإسلامية الأُخرى كعلوم متخصصة في مجالات محددة وحالات خاصة جداً .

# الحقيقة المطلقة

الحقيقة المطلقة هي ذلك الواقع أو الحدث الذي لا يمكن أن يختلف بوصفهِ اثنان مهما تغير الزمان والمكان ، فمثلاً عندما نتوصل بطريقة ما إلى شيء لا يمكن تجزئته أو تغيير معالمه ، نكون قد توصلنا إلى حقيقة ذلك الشيء المطلقة ، ليستحيل بعدها التشكيك أو التعديل بوصف ذلك الشيء مهما كانت الأسباب ، إذاً فالحقيقة المطلقة هي الوصف الدائم والأزلي لكائن محدد .

وهذا الهدف هو المسعى الرئيسي لجميع بني البشر عبر التاريخ حتى وإن لم يتم التصريح به ، والسبب في ذلك يعود لكوننا مخلوقات في حقيقتها ذو طبيعة مستقرة وثابتة ، تنشُد العيش في محيط مستقر وثابت ، وهذا المحيط المِثالي هو الجنَّة ، ولا يُوجد هُناك أي معنى للتطور أو التغيير في طبيعة البشر .

ودليلنا على ذلك هو الحنين الحقيقي للجنَّة والذي نجده في كل فرد مِنَّا شئنا أن نعترف بذلك أم أبينا ، ويدعم هذهِ المقولة أسلوب الترغيب الناجِح الذي تتبعَهُ جميع الأديان السماوية من خِلال إدراكِها بحقيقة كون الجنَّة البديلِ الوحيد للحياة الشاقة التي يعيشُها الإنسان على الأرض ، وبالمقابل نُلاحِظ الفَشل الذريع الذي تُمنى بهِ جميع الفلسفات الوضعية ، والتي من أشهرها الفلسفة الماركسية والعِبادات الوثنية كالبُوذية والتي حاولت بكل جهدها التشكيك بحقيقة وجود الجنَّة وبالتالي طرح مفاهيم وقيم مغلوطة أثبت الزمان فشلها .

فالإنسان على الرغمِ من عدم تمكنه من رؤية وإدراك الجنَّة بوسائِلهِ المُتاحة ، فهو يدركها حسياً ، ويؤمِنُ بوجودها دون أن يراها ، لأنها حقيقة لا يوجَد بديلٌ عنها ، ولقد عاشاها أبانا آدم وأُمِنَّا حواء فعلاً ، عندما خلقهُما الله العزَّيز الجبَّار وأسكنهُما الجنَّة ، لنجد أنهما قد أورثا محبتِها والحَنينِ إليها لذُريتهما وللأجيال من بعدهما بكونها موطن الإنسان الفعلي والحقيقي والمثالي ، ولا يمكن لأحدٍ من العالمين أن ينكر هذهِ الحقيقة التي تولَّد لديه الرغبة الفعلية لمعرفة الجنَّة فنجدهُ يحلم بها ويسعى لتحصيلها .

وعليهِ فالحقيقة المطلقة تَكادُ أن تكونَ غريزةٌ بَشرية ، أكثر من كونها حِلمٌ نسعى للفوز بهِ .

ولترسيخ هذه الحقيقة في عقولنا فعلينا أن نطرح حلولاً وسطاً لتساعدنا على تقريب وجهات النظر بين أفكارنا ومُعتقداتِنا، ولن يُضيرنا هُنا فرض الحقيقة المطلقة كواقع نعيش به ونحصرهُ كمفهوم ضِمن إطار محدد وذلك كي نستطيع أن نُضيِّق مجال البحث قدر الإمكان بحيث نجعل الاختلاف في الآراء حول هذا الموضوع يقتصر على مدى اختلاف مفهومِنا للخير والشر ، أو على مدى تعريفنا للونين الأبيض والأسود .

فإذا حصل وأن اتفقنا جميعاً على تحديد مفهوم واحِد لكلٍ مِن الخير والشر أو الأبيض والأسود فإننا سوف نتوصل بعدها وبالتأكيد إلى معرفةٍ ما تمثله الحقيقة المطلقة بالنسبة لنا بني البشر.

وهذا أمر لا يصعب على إدراك أي عاقل في محاولته المُخلصة لفهم الموضوع .

فالأسود لون والأبيض لون ، ومجرُد قبولهما والاتفاقُ على وصفِهما بهذهِ الصِفة أي الأسود بصفةِ السواد المُطلق والأبيضُ بصِفةِ البيَّاضُ المُطلق دونَ الخوض في تحاليل ومشتقَّاتٍ وما غيرِ ذلِكَ مِن تشعُباتٍ تبُعِدُنا عَن لُبِّ الموضوع ، نكونَ قَد أمسكنا بِبدايَة الخيط الذي سَوفَ يَقودُنا إلى الاتفاقِ حَولَ مَفاهيم إنسانيةٍ كثيرة .

فمثلاً عندما يتفقُ الناس أجمعين بأنَّ مَعنى الخير هو لِلدلالةِ عَلى كُلُّ ما يُؤدي إلى صَالح الإنسان ومنفعتهِ والشر عكسُ ذلك ، أو الحبُّ للدلالة على الصِلة الوثيقة والحَميمة بينَ طَرفين والكراهيةُ عَكسَ ذلِك، أو الحقُّ لِلدلالة على المساواةِ بين الجميع والباطِلُ عكسَ ذلِك ، أو العَدلُ لِلدلالةِ على تحقيق التوازُن بينَ الأطرافِ والظُلم عكسُ ذلِك، أو الإيمانُ للدلالةِ على تصديق العَبد الكامِل لمولاهُ والكُفرُ عكسُ ذلِك وهَكذا ، نكون بعدها قد تخطينا سوءَ التفاهُم القائِم بيننا ، وإذ بنا قد وحدنا مفاهيمُنا للحياة ، وأهدافنا للنجاة .

فالمشكلة الحقيقية في مجتمعاتِنا شعوباً وأفراداً، وكما نراها نحنُ، تكمُن هُنا في اختلاف مَفاهِيمِنا لِلمُصطَلحاتِ الإنسانية وللحقائِقِ البشرية والتي يتم تداولها يومياً فيما بين الناس ، والتي يمكن تَدارُكها بسهولةٍ لِمجرد توفُّر النيةُ الصادِقة مِن كلٍّ الأطرافِ للوصولِ إلى ما فيه خير وصالح الجميع دونَ استثناء .

وهذا هو ببساطة المفهوم العقلاني للحقيقة المطلقة والذي يتبناه عِلمُ الكتاب، فالخير لا يُمكِن أن يكونَ نسبياً وكذلِك الحُب والعدلُ وغيرها ، كلها صِفاتٌ إنسانية تمسُّ الجميع وتنال اهتمامُ الجميع ، لأنها حقائِق عامَّة وشامِلة في فاعليتها ، وهي تُمثِّل الحقيقة المُطلقة في مفهومِها ، وهذا يشمل جميع المفاهيم الإنسانية وعلوم الحياة المحيطة بِنا ، والتي نالت وما تزال جُلَّ اهتِمامات الشعوب البشرية ، لتكون بعدها هدفاً رئيسياً يشغِلُ تفكيرهم طوالُ الوقت .

# حقيقة علم الكتاب في الكتب السماوية

عِلم الكِتاب هو العِلم الوحيد أو المسمى الوحيد ، للعلم المُعترف بهِ من قبل الخالِق عزَّ وجَل ، والذي جاء ذِكرهُ في القرآنِ الكَريمِ ودلَّت عليهِ الكُتبِ السَماويةُ جميعِها ، بمعنى أنَّ مرجعية ومصداقية هذا العِلم لا تعودُ لإنسانٍ هالِك أو ظرفٍ طارئ ، بل للهِ الواحِد القهَّار ولِما أنزلهُ على أنبيائهِ الصَالحين مِن كُتُبٍ بيناتٍ وآياتٍ مُحكماتٍ فيها ذِكرى وموعِظةٌ للمُؤمنين .

أما طريقة الإستدلالُ على هذهِ المِصداقية فإنها تتِم عن طَريقِ الممارسة الفعلية والميدانية لهذهِ العلم .

فأيُّ عِلم غيرُه ، أيّاً كانَ مصدرهُ ، لا يمكن أن يكون عِلماً حقيقياً ذا صفةٍ مطلقة أبداً ، ما لم يكن مُستَنبطاً مِن كِتابِ اللهِ ، أي من عِلم اللهِ الخالِص وهو بذلِكَ لا يَتعدى كونَهُ مُجرد مَعرفة ظَرفية وحَسب ، تزول وتختفي معانيها بتغيير الزمان والمكان ، تماماً كما زالت واختفت من قبلِها الكثيرُ مِن المَعارِف البَشرية والعلوم الإنسانية عِبرَ العُصور ، ولو كانَ فيها عِلم حَقيقي واحِد لَكانَ استمرَّ بالبقاءِ عَلى مَدى الدَهر ، كما استمرت العِلوم السماوية .

ودليلنا على ذلك نجِده في قولهِ تعالى في سورة فاطِر الآية ٢٨ : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنعَامِ مُختَلِفٌ أَلوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخشَى اللهَ مِن عِبَادِهِ العُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ .

حيثُ جاء في بداية هذهِ الآية الكريمة ذِكر الاختلاف الملحوظ في أشكال الكائنات الحية التي خلقها الله سبحانهُ وتعالى على الأرض ليشير بذلك إلى مقدرة الخالق عزَّ وجل في تنويع خلقهِ سواء كان من الجنس نفسهِ كالبشر أو من أجناسٍ مختلفة كالحيوانات ، وهذا إنما حدث ليُظهر الله القدير العزيز للناس علمهِ الذي شملَ كُلَّ هولاء ، فهذا التنوع في الخلق إنما جاء نتيجة لقوانين إلهية ارتأت الاختلاف في أشكال الخلق ليتناسب كلٌ منها مع المحيط الذي يعيشُ فيه ، أما بالنسبة للبشر فلقد جاء التنوع ليُميّز الخالِق الخبيث من الطيب لذلك فإنَّ الله اصطفى من بين خلقهِ البشر ، ومن بين البشر المسلمين ، ومن بين المسلمين المؤمنين بالله واليوم الآخر ، فإذا تمَّ فهم هذهِ الحكمة الربانية نستطيع أن نقارنها بتنوع العلوم وبالتالي العلماء ، فتعريف العلماء هم مجموعة مختارة

من البشر يتميزون بعلومهم التي تؤهلهم ليتبوؤا مكانة خاصة في مجتمعهم نتيجةً لمقدرتهم على استنتاج الحلول للمشاكل التي قد تعترض الإنسان وتعيقهُ في تحقيق أهدافهِ ، لذلك نجد التنوع في العلوم قد جاء كنتيجة لتنوع المشاكل والتحديات تلك .

ومن التنوع في العلوم والعلماء نجد بأن الله اصطفى من بين العلوم علماً واحداً وهو علم الكتاب ومن بين العلماء علماء علم الكتاب فجاء قولهُ تعالى ﴿كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخشَى اللهَ مِن عِبَادِهِ العُلَمَاء﴾ ليوضّح خاصية علماء علم الكتاب بكونهم العلماء الوحيدون الذين يخشون الله ويخافونهُ ويتقوهُ حق تقاتهِ بسبب علمهم ويقينهم الذي جاء نتيجة علم حقيقي مبني على استنتاج عقلاني وفعلي يعود لدراستهم وتمعُّنِهم في رسالات ربهم وسعيهم الدؤوب لفهم وتفسير آيات الله الموجودة في كتبهِ السماوية المنزَّلة على الناس أجمعين ، فخشيتهم من الله العزيز القدير إنما جاءت كنتيجة لفهم حقيقة عظمة الخالق المطلقة وهي بذلك أي خشية الله ومخافتهِ من قبل هؤلاء العلماء قد تميزت عن خشية باقي عباد الله بكونها مبنية عن علم ودراية وفهم حقيقي لقدرة الله سبحانهِ وعظيم سلطانهِ وجزيل ثوابه المتمثل بفسيح جنَّاتهِ وقِسوةِ عذابهِ المتمثل في شدة حريق نارهِ الموجودة بجهنَّم ، فإنَّ الله عزيزٌ غفور ذو انتقامٍ شديد .

فعِندَ مقارنتِنا بينَ العِلومِ الوضعية كمفاهيم بشرية بحتة وبين العلوم السماوية كمفاهيم ربانية مُقدسة ، نجدُ بأنَّ العلوم الدينية السَماوية ، هي العلوم الحقيقية الوحيدة التي وجِدَتْ لِتُغذي فِكرَ الإنسانِ وتُلبي احتياجاتهِ الفكرية والحيوية في حياتهِ على الأرض وفي مقر خلودهِ بالسماء ، لذلك فصلاحيتُها باقية إلى أبَدِ الآبدين ، فالذي أوجدها هو الذي أوجَدَ الزَمن والدَهر ، وهو الله سُبحانَهُ جلّت قدرتُه وتَعالى اسمه ، وهو حيٌ لا يموت باقٍ لا يزول .

لذلك فنحنُ كمؤمنين بالله واليوم الآخر نَستطيع وبكل تأكيد أن نجد الحلول المناسبة و التفاسير المفهومة ، وكذلك البدائل الصحيحة لجميع المشاكل المختلفة والظواهر العجيبة التي تواجه الإنسان على الدوام عن طريق القرآن الكريم ككتابٍ مقدسٌ مِن عندِ الله ، وعن طريق ما سبقهُ مِن كُتبٍ سماويةٍ مُنزّلةٍ تحتوي على جزءٌ وفير مِن عِلمِ الله ومعرفتهِ في أمور الدُنيا والآخِرة .

فحقيقة علم الكتاب في الكتب السماوية تتأكد بمرجعية هذه الكتب لله الواحد القهّار جميعها دون استثناء . وبما أن علم الكتاب هو علم الله ، إذاً هو موجود في جميع الكتب السماوية دون استثناء . و الله أعلم .

# شروط استنباط الحقائق
# من القرآن والكتب السماوية

كي نستطيع الحصول كبشر على النتائج المرجوة من كُتُب الله ، علينا أن نعمل جاهدين وبإخلاص على تفسير آياتِ الله المُحكمات والتي نجدها في القرآنِ الكريم وكتبه السماوية الأخرى وبالصورة التي تخلو من الرغباتِ الشخصية والمتطلباتِ الدنيوية ، وأن نحرص على أن يكون تحليلُنا وتفسيرنا لتلك الآيات البينات صحيحاً ونهائياً قدرَ الإمكان . كي يكون استنباطنا للحقائق مبني على أسس قوية وراسخه في العلم والمعرفة : -

**ولتَحقيق ذلك يُشتَرط في فِهمنا وتَفسيرِنا لِتلك الآياتِ البيِّنات أن يكون مبنياً على عِدة عوامِل وهي :**

أولاً- يُشترط الصِدق في مشاعِرنا والقوة في إيمانِنا والعزيمة في جأشِنا ، فلا نخافَ في الحق لومةَ لائم ولا غَضب حاكِم ولا جورِ ظالم .

ثانياً- إحاطتنا بمفهوم الآية العام والخاص ، فكلُّ آية في القرآنِ تخدِم عِدة أغراض في آنٍ واحِد ، ولا يُقتصر فهمُها على هدفٍ محدد ، وذلك حتى تكون هذهِ الآية وكسائِر آياتِ القُرآنِ الكريم صالحة لِكلِ زمانٍ ومكان ، تماشياً مع حقيقة القرآنِ الكريمِ نفسهِ ، ككتابٍ مُقدَّس صالحٌ لكلِ مكانٍ وزمان ، وهذهِ حقيقة مُطلقة وأساسية لا يُمكِن القبول بالتشكيك فيها أبداً .

ثالثاً- وبعد أن تمَّ الإحاطة بمفهوم الآية علينا أن نبحث لها عن أمثلة عملية وحيوية في زماننا الحاضِر الذي نعيشُ فيهِ وفي الأزمنة السابقة إن أمكن ، وبذلك نكون قد فعَّلنا الآية بالصورة التي تسمح لنا بتطبيق مفاهيمها في حياتِنا المعاصرة ، ونكون بذلِك قد ألغينا عنها صفة الجمود والانحسار ، مما يُعطي لباقي الآيات بشكلٍ خاص وللقرآنِ الكريمِ والكُتُب السماوية بشكلٍ عام صفة الفاعلية والمرونة في مواجهة المتغيرات التي يَعصِف بها الزمان من حينٍ لآخَر .

رابعاً-بعد أن يتم شرح معاني الآية الكريمة وتفسيرها بما يُرضي الله وإعطاء الأمثلة العملية ، نعمل على طرحِها كبديلٍ فعلي للأفكار أو المفاهيم التي كانت سائدة في حينه ، وذلك عن طريق مُقارنة نتائجُها المُنتظَرَة مَع النتائج الحاصِلة على أرضِ الواقع ، ولا يفوتُنا هنا ضرورة القيام بتفسير ما نتلمسه على أرض الواقع مِن أحداثٍ وقضايا مُعاصرة تخصُّ موضوع الآية المذكورة على ضوء فُهمنا لها ، وذلك لكي يكون طرح مفهوم الآية الكريمة كبديل مبني على أُسسٍ واقعية وفعلية ، وليس طرحاً خيالياً لا يمت لأرض الواقع بصِلة .

خامساً-يجب أن يُأخَذ بِنظرِ الإعتِبار بأنَّ الهدف مِن وراءِ تفسير أي آيةٍ قرآنية أو حكمةٍ إلهية هو خدمةِ الإنسان وحدهُ فقط ، وذلك إما عن طريق هدايتهِ للتفكير السليم أو تسهيل أمور حياتهِ لما يتناسب مع عقيدتهِ السماوية .

وبهذهِ الحالة يكون أساس العِلم المستنبط مِن آيات الذِكر الحكيم هو خِدمة الإنسان ، وذلك من خلال مسايرة علم الكتاب للعلوم الحالية في إيجاد سُبل الراحة والرفاهية للإنسان ، وإختلافه عنها مِن ناحية المرجعية والدوام ، فكما نعلم بأنَّ مرجعية العلوم الوضعية الحالية لا تُنسب لله الخالِق الوهَّاب بل للإنسان وحدهُ ، وهذا خطأ عظيم وكُفرٌ مُبين ، وهي كذلك لا تتميز بالدوام بل خاضِعة للتبديل والتغيير المُستمر في كُلِّ زمانٍ ومكان ، أمَّا العلوم المستنبطة مِن الكتاب فهي عِلومٌ حقيقية مرجعيتها للهِ وحدهُ ومُدَّة صلاحيتها أبدية في الأرض والسماء .

مما سبق يتَّضحُ لنا أهمية مُصطلح الحَقيقة المُطلقة أو العِلمُ المُطلق في حياتنا الدنيوية ، ولا يفوتنا أن نُذَكِّر هُنا بحتمية التوصُّل إلى تلك العُلوم والحقائِق عَاجِلاً أم آجلاً ، وإلا فما فائدة وجودُها أو التذكير بها طالما كانت للحِفظ فقط .

فالحقيقة المُطلقة هي السبيل الوحيد للتخلُّص مِن الهموم والمشاكِل التي تعاني منها البشرية منذ زمن طويل ، فهي بالنسبة لنا كبشر قدرٌ حَتمي علينا التعامُل معه بجدية وواقعية ، ولن يُفيدنا الهُروب مِنها إلى الوهمُ والآمال الضائعة ، ولن يُفيدنا التذكير أيضاً بأمجادنا القديمة ولا بتاريخِنا الراحِل ، فنحنُ لازلنا نمتلِك الأصل والجوهَر وهو القرآنُ الكريم والسنةُ النبوية المطهرة ، ولا ينقُصُنا شيء سِوى أن نُباشِر في غَرفِ العِلم والمَعرفة .

# حقيقة القرآن ككتاب سماوي

القرآن الكريم هو ذلك الكتاب المنزَّل مِن ربِ العالمين ، فيه هُدى للناسِ وتبصير وتفسير لكلِّ شيء ، وكذلك فيه بيانٌ وتفصيلٌ لجميع العلوم التي نَدرُسها والتي نمارسها حالياً أيضاً ، ولتلك التي سوف نتعامل معها ونمارسها لاحقاً في الجنَّة إن شاء الله ، فالقرآن لا يُمكن أن يأتِهِ الباطِل مِن بين يديهِ ولا مِن خَلفه أبداً ، اتِّباعاً لقولهِ تعالى في سورةِ فُصِّلت الآيات ٤١ و٤٢: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِالذِّكْرِ لَمَّا جاءهم وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عزِيزٌ ۞ لاَّ يأتِهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تنزيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ صدق الله العظيم .

أو لقوله تعالى في سورة الإسراء الآية ٩:

﴿إِنَّ هذا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾ .

ففي هذهِ الآية الكريمة تم التأكيد على صيغة التَفاضُل في كلمةِ (أَقْوَمُ) ليتم تذكيرِ الناس بالأفضلية المطلقة لجميع العلوم المستنبطة من القرآن على جميع العلوم والمفاهيم الأخرى ، ففعل يَهدي هنا جاءَ مُرادفاً لِمعنى يُرشِد إلى الصَواب ، ولن يكونَ الإنسانُ بحاجةٍ إلى الهداية إلا بَعد أن يضِلَّ طريقهُ إلى الصواب ، شريطة أن يعترف بذلك ، وليس هناك أفضلُ مِن كِتابِ اللهِ ليهدى بهِ مَن أضلَّ السبيل ، لِما فيهِ مِن عِلم نافع ونُور ساطع لكلِّ الأمم ولجميع الأجناس ، مهما اختلفت ألوانهم وتباعَدت أقطارهم ، ولما فيهِ أيضاً مِن خبرٍ يقينٍ حول ما نُنشِدُ معرفتهُ ونتقصَّى حقيقتهُ .

ولا يَجدُر بنا أن ننسى معجزةُ الخالِق الخالِصة لهُ والخاصَّةِ بنا وهي التي لم يتَدب أحدٌ أو يوكِلُ أمرُها لِمخلوقٍ كي يقوم بها ، سواء كان من إنسِهِ أو جنِّهِ أو حتى مَلائِكته ولا لأي مخلوقٍ آخَر في الأرض أو السماء ، وهذهِ المُعجزة تتمثل بحفظه للقرآنِ الكريم ككتاب مُقدسٍ متكامل ، وصيانته مِن كُلِّ شرٍ أو سوء قد يلمَّ بهِ ، منذ ما يزيد عن ألفٍ وأربعمائةِ عامٍ ، متحدياً بذلك جميع المحاولات الشريرة من قبل الإنس والجن و التي ما دأبت تعمل جاهدة على المساس بصياغته العجيبة وبآياته المحكمات على أمل أن تغير أو تبُدِّل ما يحلو لها مِن أحكام وشرائع ، دون أن تتوصل إلى تحقيق أي نجاح يُذكَر ، وذلك رغم النجاح الذي حققته بشأن الكتب السماوية

السابقة، فكل من التوراة والإنجيل عبارة عن مجموعة من كتب منسوخة لا تشبه ولا تتطابق مع بعضها بعضاً، ولا يمكننا هنا نسب الفضلُ ببقاء القرآن الكريم سالماً من أي تحريف لأي طرف بشري أو جهة مسؤولة، لأنَّ المحافَظة على النُسخ الموجودة جاء رغَم كلِ التغييرات الجذرية في السياسات الحاكمة لدى البلدان الإسلامية، وهذا خلال الحقبة الماضية من الزمن، والتي عانت فيها هذهِ الدول من مختلف الظروف البيئية السيئة، ومع هذا كله لم يحدث أن لاحظنا أي نوع يُذكر من التغيير أو التبديل لكلمات الله الموجودة فيه.

ليصدُقَ قوله تعالى في سورة الحجر الآية ٩: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإنا لَهُ لحافظون﴾.

وبهذا الكلام يكون قد تم إزالة أدنى شك يمكن أن يتولد لدى أي إنسان يؤمن بالله واليوم الآخر حول مصداقية الكلام الموجود في هذا الكتاب المنزَّل، وعليهِ فلا بُدَّ أن نجد في آياتِ القرآن الصِدقَ كلَّهُ وكذلك الحقيقة الكاملة المرجوَّة والحُكم النَافِذ العَادِل، وعليهِ فكلِ ما نجد خَبرهُ ونتبين تفسيرَهُ في هذا الكتابِ مِن عِلومِ ومفاهيم وكذلك أحكام وقوانين وغيرها، ما هي إلا عِبارة عن أمثلة للحقيقة المُطلقة المرجوة في زماننا الحاضر، ودلائل واضِحة وبيّنة لترشِدنا إلى القول الفصل والحُكمُ العَدل، لما يخص مرجعية ومصداقية العلوم أو المفاهيم المطروحة أمام مجتمعاتنا الإنسانية إسلامية كانت أم غيرها، والتي ما برحت تُكلِفُنا الغالي والرخيص في سبيل البحثِ عن هذهِ العلوم.

فإذاً أردنا حقاً معرفة حقيقة ما نؤمِن بهِ ونصدقهُ ونسلِّم به، علينا الانصياع إلى أوامر الخالق واتِّباع تعليماته والمنقولة عنه بكل صدق وأمانة والموجودة في كُتُبهِ المُرسلة للعالمين عن طريقِ رُسُلهِ وأنبيائهِ الصالحين.

لنكون بعدها حقاً مسلمين ومؤمنين بالله واليوم الآخر، ولا يوجد أمامنا غير ذلك من سبيل أو بديل على الإطلاق، ولا ينبغي أن يكون، فأي عِلمٍ آخر مصدرهُ ومنبَعُه ليس مِن الكِتاب أو السنة، ما هو إلا فِتنةٌ نُفتَن بها وشرٌ نُبتلى به، ولا يفوتنا هنا التنويه إلى حديث رسول الله عليهِ الصلاة والسلام والذي يقول ((كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار)) صدق رسول الله.

فحقيقة القرآن ككتاب سماوي نتلمسها بمدى المفاهيم والقيم العظيمة التي يطرحها، وبمدى ذكره وتنويهه لأهمية الكتب السماوي الأخرى كجزء لا يتجزأ منهُ وكحقيقة مطلقة خالدة وباقية إلى ما شاء الله.

# حقيقة العلوم الوضعية

إنّ سببُ تعامُلَنا مع العِلم التَطبيقي الوضعي والمعرفة الآنية بمفهومها الحالي، لم يكن إلا بُغية الحُصول على مكاسبَ إضافية لِبني الإنسان التي قد يكونُ بحاجةٍ لها أو لا يكون ، آملاً أن تَمنحهُ قوة فوق قوته ليتعزَّز بها ، أو مِنعةً فوقَ مِنعتهِ ليحمي نفسَهُ بمساعدتها ، وهذا الأمر ليس بالأمر الهين إذاً قورِن بالثمن المقابِل الذي يتعين على كلِ فردٍ منَّا أن يدفعه ، وبالأخص عندما لا تكون هناك قوانين محددة تحكم تصرفات الإنسان أو تُحدد مسارهُ الذي يسلكهُ ، ولتجعل من هذهِ القوة والمِنعة مكسباً لصالحهُ وليس ضِدهُ .

فالذي يحدث عادةً عند إمتلاك الإنسان ولأي سببٍ كان قوةٌ إضافية مادية كانت أم معنوية ، هو أحد الحالتين وهما :

١- إما أن تعمل تلك القوة على الرفع من شأن ذلك الإنسان في محيطه لتزيد من قدرته على مواجهة التحديات وتعزِّز وجوده الإنساني بترسيخ قواعد سلطانه ونفوذهُ على مَن حولهِ .

٢- أو إنها تؤدي إلى تدميره كلياً وبالتالي فناءهِ، وذلك كنتيجة لتهورهُ في استغلالِ تلكَ القوة في خِدمةِ مصالحهِ ، وعدم قُدرتهُ بالتالي على استيعابِ تلك القوة ضِمن إمكانياتهِ وقدراتهِ العقلية والفكرية المحدودة ، مما يؤدي بطبيعة الحال إلى نشوء صراع داخلي وتناقض فكري في نفسِ ذلك الإنسان ، حيث لا يستطيع بعدها أن يتحكم بتصرفاتهِ ، فتنعكس النتيجة المرجوة حيث توجَّه ضده شخصياً وينقلِبُ السِحرُ على الساحِر .

وبناء على ما نقرأهُ في قُصص التاريخ فهذا ما حَدثَ فعلاً للأمم السابقة في العهود المُنصرمة من الزمان ، كالفراعنة والبابليين والرومان وغيرهم ، والتي أصابها الدمار والخراب الشامل بعد أن كانوا رمزاً في زمانهم للحضارة والرقي ، والسبب في ذلك يعود لمعاناة تلك الشعوب من كُثرة الصِراعاتِ الداخلية والخارجية القائمة على الغرور بالقوة والتباهي بامتلاك أساليب الدمار من قتلٍ وتدميرٍ وهدمٍ للبيوتِ والمساكِن ، فجعلت من الإنسان العدو الأول لأخيه الإنسان، وطاغية يتجبَّر على من حوله من مخلوقات الله كما يعبث في الأرض ليُفسِدها، وفي النهاية أدت به تلك الأحداثِ بمجملها إلى دمار الإنسان في تلك المُجتمعاتِ معنوياً وفكرياً وحضارياً ليُصبحَ بعدها أثراً من بعدِ عين .

ولتجنيب الشعوب والأمم هذا المصير المشؤوم علينا بالإتّعاظ من أخطاء الماضي ، لما في ذلك من دروس وعبر محسوسة وملموسة يصعب التشكيك بها ، مما يجعل دراستها والتمعن بها والاستفادة من تجاربها، السبيل الوحيد لبناء مستقبل يزهوا بالأمان والاستقرار، فامتلاك الفرد لمقومات القوة والرفعة أصبح من البديهيات ومن الضروريات الحضارية والمتطلبات المرحلية في عصرنا الحالي ، وذلك كي نتمكن مِن مواجهة التحديات الآنية التي يفرضها علينا عصرنا الحالي ، مما يترتب علينا ضرورة تجنب النواحي السلبية من تاريخ الشعوب .

فَيُفْتَرض بنا أولاً أن نحرِص على إكتساب تلك القوة المتمثلة بالعلوم الحديثة من مصدر ذي مصداقية عالية من ناحية المنشأ والمرجعية ، وذلك لنضمن حِرصَهُ على مصلحة البشرية في طرحه للمفاهيم العلمية التي تحقق الخير لها ، لذا فمِن أهم الشروط لتحقيق ذلك هو أن يتصف المصدر بالخير والإصلاح والصدق في التعامل والأمانة في توصيل المعلومة الهادفة ، وعندها فقط نكون قد ضمِنَّا النتيجة ، لنتمكن بعدها نحن بني البشر وبفضل هذا المصدر من رفع شأننا بين الخلائق وتعزّيز موقعنا عن جدارة ، مما يتيح لنا القيام بدورنا الحقيقي على أكمل وجه .

إذاً فحقيقة العلوم الوضعية نراها واضحة وجلية في الانجازات التي كانت تعتبر عظيمة في نظر الإنسان انذاك ولكنها وبالرغم من ذلك لم تستطع تلك العلوم المحافظة على وجوده وسلطانه، واكتفت بتحويل تلك الانجازات الى أحجار وتماثيل لتدل على أصحابها وهي بذلك تعطي رسالة واضحة لأصحاب العقول النيرة بأن مصير العلوم الوضعية كان ومازال وسيبقى في الحجارة والتماثيل ولن تبعداها لأكثر من ذلك شاء من شاء وأبى من أبى .

وعندما نشاهد تمثال وحجارة علماء العصر الحديث كنيوتن واينشتاين ونوبل وغيرهما ونتسائل أين هم الآن؟! ونحن نعلم كمسلمين بأنهم في الجحيم وهم كذلك فعلاً. فماذا فعلت علومهم الوضعية لهم وماذا فعل من عظمهم لكي ينقذوهم من عذاب السعير؟!. وهل يا ترى مازالوا سعداء بانجازاتهم وهم يتعذبون في نار جهنم خالدين فيها أبدا، والغريب أن الكثير من الناس مازالوا على تعظيمهم وتمجيدهم ولا يسمعون صوتهم وصراخهم وهم يستنجدون من العذاب الأليم نتيجة لكفرهم بحقوق الله ونكرانهم لفضله.

والله على كل شيء قدير.

# حقيقة الفكر والعلم السماوي

إننا لا نشك للحظة بأحقية كِتابِ الله الموثّق بسنة رسولهِ ليتصدر موقع الريادة والصدارة نحو توفير حلول جذرية وآمنة لجميع التحديات التي تتعرض لهاشعوبنا الإنسانية ، وأن يكون من ضمن أولياته توفير البدائل الفكرية والعلمية في سبيل تحقيق السعادة والرقي الحقيقيين لدى المجتمعات البشرية ، وذلك يعود لتبني الله سبحانه مسؤولية خلق الإنسان وتكليفه بتلك المهام . ولن نجد بديلاً عن الكُتُبِ السماوية ولا عن سيرة الأنبياء والرسل الصالحين لتحقيق هذه الغاية النبيلة ، مهما جهدنا في تحقيق ذلك ، ولسبب بسيط ألا وهو ضرورة وجود المصدر الذي سبَّبَ الأسباب ليُكمل بذلك الطرف الرئيسي من المعادلة ، أمَّا المعادلة فهي : الله ، الكِتاب ، الإنسان ، أما شرحها فهو كالتالي ، الله هو أصلُ كُلِّ شيء ، أما الكِتاب ففيهِ عِلمُ كُلِّ شيء بسبب كونهُ كتاب الله الخاص به وبعلمهِ ، ثم يأتِ بعدها الإنسان وهو الجهة المعنية بالأحداث والتطورات لحكمة أرادها الله سبحانهُ وهي خاصة به وحدهُ جلَّت قُدرته .

فطبيعة الإنسان غير المستقلة لا تؤهله لخوض ومواجهة المصاعب بمفرده ، وبالتالي فوجود جهة محددة تتمتع بصفة الاستقلالية والحرية المطلقة باتخاذ القرارات وإصدار التوجيهات والتشريعات يصبح من الحتميات وهذا ما يطرحه القرآن الكريم وما تؤيده الكتب السماوية الأخرى وما نتلمسه في سُنَّةِ نبينا المصطفى صلوات الله وسلامهُ عليه .

وهذا يقودنا بطبيعة الحال إلى القناعة المطلقة بأنَّنا وعن طريقهما فقط ، أي الكتاب والسنة ، سوف نتمكن من إعطاء تفسير منطقي وحقيقي وبالتالي نهائي لما يجول في خاطِرنا من شكوك وأوهام حول طبيعة وجودنا كبشر وأصل علومنا وشرعية مفاهيمنا ، وذلك لكونهما مبنيان على أُسس وطيدة وراسخة في تاريخ الحضارة البشرية ، ولكونهما أيضاً ساهما ولم يزالا في توطيد دعائم الفكر الإنساني عن طريق رفده بعلوم إنسانية وأخلاقية كالفقه والشريعة ، حتى تساعد الإنسان بالتالي على الفهم الصحيح لجميع الحقائق العلمية التي توصل إليها من خلال ممارسته لحياته ونشاطاته على كوكب الأرض ، وذلك على أساس من العقيدة والفكر الإسلامي الصحيح .

وعندها فقط نكون قد سيطرنا على علمنا الذي هو عصمت أمرنا وعلى حياتنا التي فيها معاشنا، وأنرنا به دربنا ، وعزّمنا أمرنا ، وجهّزنا أنفسنا لملاقاة ربنا يوم لا ينفع لا مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، وتمكنا في الوقت نفسه من أن ننتقل بعقيدتنا وديننا الإسلامي الحنيف ، من موقع الدفاع الضعيف إلى موقف الهجوم القوي . عسانا بذلك، أن نتمكن من تدارك ما أصاب الأمة الإسلامية من وهن ورضوخ وتردي ، والذي شمل كافة مجالات الحياة التي نعيشها كمسلمين ، لينحسر دورنا في المجتمع الإنساني كمستهلكين لِما ينتجه الآخرون فقط ، فأساس ملكنا الحالي هو النفط ، والنفط ليس سوى ما تنبذه الأرض من بقايا متحللة لكائنات منقرضة ليكون لنا مصدر رزق وستر عورة ، وما كان هذا ليحدث إلا بسبب ابتعادنا عن نهج الإسلام القويم .

فبدلاً من أن يتبع المسلمون كُتُبَ اللهِ المُنزَلة وسنة الله في خلقه لِنقتدي بهدي رسوله الكريم ،آثروا الابتعاد عن كلاهما فكانت النتيجة أن ضَعُفت قوتنا كمسلمين ومؤمنين بالله ، وذلك بسبب الإحباط الشديد الذي نعيشه نتيجة للتناقض الفكري والحيرة الشديدة في تحديد جهة الولاء بين ربٍ يدعونا إلى جنّة الخُلد عَرضُها السماواتِ والأرض ، وبين رفاهية على الأرض نُوعَد بها من قِبل الآخَرين ولا نَطالُها، فتفرق بذلك شملنا وضاعت هيبتنا أمام شعوب الأرض جميعاً، والسبب الرئيسي في هذا التشتت والضياع يعود لِتخبُط المُسلمين في علومِهم ، وترددهم في اتباع هذا الطريق أو ذلك ، وعدم حزم أمرهم في توحيد كلمتهم ليكونوا تحت قيادة إسلامية موحدة ، ترشدهم إلى الصواب وتقودهم إلى الخير والصلاح وتوحد فكرهم ونهجهم لتنير دربهم ، وما دمنا كذلك فلن يكون لنا كمسلمين شأن أبدا دون أن يكون لنا فكر موَّحد ومنهجٍ ثابت ومحدَد ، نسير على أساسه ونلتزم بتعاليمه وتشريعاته .

فتمسُّك الشعوب الإسلامية الحالي بمناهج مستوردة لا تمت للإسلام بصلة وبالعديد من الشعارات المضللة الصادرة من أناس قد اشتهروا بكونهم جهلة وكفرة ، لن يقودهم ذلك إلا للمزيد من التشتت والضياع ، لأن الذين يقفون وراء تلك الأفكار يهدفون بالأساس إلى زعزعة إيماننا كمسلمين وثقتنا بأنفسنا كمؤمنين ليس إلا .

**نستشهد على ذلك بقوله تعالى في سورة البروج الآيات من ١ إلى ١٠:**

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۞ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۞ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۞ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۞ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۞ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۞ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ

شُهُودٌ ۞وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۞ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾ سنة الله الله .

في تفسيرنا لهذهِ الآيات الكريمات نلاحظ في البداية تكرار واو القسم في ثلاث مراحل مهمة في حياة البشر ، فالمرحلة الأولى تمثّلت بخلق السماء ذات البروج لقوله تعالى ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ أي السماء ذات الشواهد والأعلام العظيمة الدالة على عظمة الخالق وجبروته ، فمن منّا لم يَرى النجوم والشمسَ والقمر الشاخصات ليلَ نهار في السماءِ فهيَ كالبروج التي تقف شامخة أمام الجميع فلا يتوارى عن رؤيتها أحدٌ ، وتمثّلَ القسَم الثاني في اليوم الموعود لقولهِ تعالى ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ والذي هو يوم القيامة ، لما لذلكَ اليوم من صدى قوي عند البشر ، كونه يُمثّل نهاية المَطاف لدى الخَلق أجمَعين في حياتهم الدنيوية ، أما القسم الثالث فجاء ليُمثّل جُموع الخَلق والبَشر الذينَ سوفَ يمتثلون أمام الخالق العظيم في يوم القيامة والذينَ منهُم شُهودٌ ومشهُودٌ عليهم لقولهِ تعالى ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ باعتبارهم شُهودٌ عَلى الأحداثِ التي تقع من حولهم ومَشهودٌ عليهم بما يَفعَلون ، فجاءت مراحل القسم الثلاث العظيمة لتوحي للناس بأهمية الموضوع المُدرَج في ثنايا هذهِ الآيةِ الكريمة ، فَبعد القسم العظيم جاء التنويه بسوء المصير الذي آل إليه أصحاب الأخدود والمُتمَثِل بالموت عَن طَريق القَتل والذي نجد قصّتَهُم في قولهِ تعالى ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ، النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ، إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ، وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ فكلمةُ القَتلِ هنا جاءت لتَدُل على حُدوث العذاب الأليم المؤدي للموت كعقاب شديد لأصحاب الأخدود من قِبَل المَولى العزيز القَدير نظير ما اقترفت أيديهم من ذنوب بحق أُناس كانَ ذَنبَهُم الوَحيد أنَّهُم آمَنوا بالله الواحد الأحَد ، فكانَ جزاؤهم أن أُلقوا في ذَلكَ الفَجّ الكَبير والذي يَحتوي على نارٍ متّقِدة أي شَديدةَ الحَرارة ، فجَلَسوا أولئك قَريباً مِنها لِيُشاهِدوا مَنظر الناسِ وهُم يحترقون .

وهذهِ الحادثة إن دلّت على شيء فإنها تَدل على سوءِ مصير أَصحاب الأُخدود والذي سَيؤول إليه كُل مَن يَظُن بأنَّهُ قادِر على إطفاء نور الحق بمحاربةِ الله واضطهادِ عَبيده ، خصوصاً وأنَّ الله توعد الكافِرين بصريح العبارة عندما تم توجيه الحديث المباشر لهم لِسعيهم إلى فتنة المسلمين بشتى الوسائل والطرق مُحاولينَ بذلك إشعال نار الحرب بينهم ، وذلك كما ورد في الآية الكريمة في قولهِ تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾فهم أي المشركون والمنافقون ليَصرُّون على فتنةِ المسلمين دون أن يُفكّروا في التوبة أو

الرجوع إلى الله في شأنهم هذا ، فذلك كلهُ يحدث دون أن يكون لهم حجة على المسلمين سوى أنهم أي الكُفَّار كَرِهوا مَا هُم عليهِ مِن الحَقِ واليقين لعبادتهم لله الواحِد الدّيان ، فلن يكون مصير أولئك المُجرِمون عندئذ بأقل من أصحاب الأخدود ، إن لم يكن أشدُ بكثير بسبب تذكيرهِ جلّ وعلا المُسبَق لهُم بما ينتظرهم مِن عَذابِ جهنّم وعذاب الحريق واللذين لن يجدوا مثيلهُما على الأرض .

مثالنا على ذلك الحقد الكبير والكراهية اللامتناهية الموجودة في قلوب الكفَّار ضد المؤمنين بالله واليوم الآخِر ، والذي يتمثل جلياً في عصرِنا الحالي بمحاولتهم لتحييد الدين وتجريدهُ من كل معاني التواصل الفكري والربط المعنوي بين العبد وربه ، وذلك بإصرارهم على رفض أي علاقة بين ما توصل إليه الإنسان المعاصر مِن علوم وتقنيات حديثة تدَخّلت في جميع مجالات حياته وبين الدين كموجِّه ومنظِّم لِتَصرُّفات البشر في جميع مراحل الحياة البدائية منها والمُترفة ، فما برِحوا يشيدون بذكاء الإنسان المعاصر وعبقريته وتميزه الفكري والأخلاقي عن أسلافهِ في العصور القديمة ، محاولين بذلك قطع أي صلة بين الفرد الحالي وبين تاريخه وتاريخ آبائه وأجداده بافتراض أنَّ الإنسانُ الحالي يعيش حياة مختلفة كلياً عن حياة أسلافهِ ، وعند بحثنا في أسباب ودوافع هذه الحملة وجدنا أنهم يهدفون بذلك إلى فصل الإنسان عن ماضيه وبالتالي عن دينه الذي هو ذُخرُهُ وسبب وجوده ليدفعوه بالنهاية إلى الكفر والإلحاد ، حجتنا بذلك الإصرار العنيد الذي نجده لدى أغلب العلماء في عصرنا الحالي في نَسَبِ حقيقة الوجود وبالتالي مرجعية العلوم الحالية والتطور البشري لأي شيء غير الله سبحانه ، فتارة ينسبوه للصدفة وتارة لإنفجار عظيم حدث في الكون هكذا دون سبب وتارة لعملية تطور عشوائية لم تحدث إلا مع الإنسان وغيرها العديد من الأفكار الغريبة والعجيبة وليس منها من فكرٍ واحدٍ عقلاني يَسعى لربط المخلوق بالخالق ، وذلك بما لديه مِن أساليب علمية وتقنية متوفرة ، وهذا رغم وجودِ من يدعي الإيمان بالله بينهُم ولكن على شرط إبعادهِ عن العلم والحياة ، ولا نرى هُنا في موقعنا هذا حجة لهم سوى الحقد الدفين الذي يكنُّوهُ في صدورِهم على دين الله والناتِج عن الجهل العظيم بطبيعة الأمور .

فماذا يضيرهُم لو يعترفون ويُقرون بفشلهِم أو جهلهِم عندما لا تستطيع علومهم الحالية بكل ما أوتيت من إمكانيات أن تربُط بطرق علمية وفكرية صحيحة ومعقولة بين الخلق والخالق ، ولا يوجد مبرر على الإطلاق لرفض فكرة وجود الله سبحانه كحقيقة علمية أساسية واللجوء بدلاً مِن

ذلك إلى فرض نظريات تعتمد على الصدفة والاختيار العشوائي للتطور بين الكائنات الحية في تفسيرهم لنشأة الكون وأصلهِ .

فمِن ضِمن الدلائل على ذلك العداء للمُسلمين ، هو إصرارهم على وصفِ المجتمعات المتديِّنة بكونها أصولية أو غير متحضرة ورجعية أو بدائية . . . إلخ ، ليصفوا بالمُقابل المجتمعات الكافرة بالتطور والحداثة والرُقي وغير ذلك ، من أجل أن يدعِموا فكرة فصلِ الإنسانِ عَن خالقهِ ليقودوا المُسلم بالتالي إلى الكُفر بربهِ والإلحاد عن دينهِ .

ومن أشهر الفتن الحالية ، تلك الداعية إلى العمل على فصل الدين عن الحياة ، بحجة وجود فراغ شاسع ، وتناقض واسع بين العلوم الدنيوية الحالية والعلوم الدينية ، هذا بالرغم من إدراكهم بأنَّ ذلك الفراغ الشاسع الذي يتكلمون عنه ما جاء إلا كنتيجة لفشل تلك العلوم عن ايجاد الحقيقة المطلقة المرجوة لدى الجميع ، وما مِن سببٍ يمنعهُم من ذلك سوى ابتعاد هؤلاء الناس عن الأسلوب الصحيح في التفكير المنطقي والاستنتاج الصحيح ، خصوصاً بعد اتخاذهم غير سبيل المؤمنين في تدبر أمرهم .

**فلقد قال العزِّيز القدير في كتابه المحكم ، في سورة النساء الآية ١١٥ :**

﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ ، نجدُ في هَذهِ الآيةِ الكريمة تنبيهٌ للمُسلمين الغافلين عن أمورِ دينِهم ودُنياهُم ، داعيةً إياهُم ليتشبثوا ويتمسكوا بهدي الرسولِ الكريم عليه الصلاة والسلام وباتباعِ سُنتهِ المُطهرة لِما فيها مِن خيرٍ عظيم وطريق قويم لِمن يَنشُد الفوزَ في الحياةِ الدُنيا ليتنعَّم بالسعادة الأبدية الموجودة في الآخِرة ، فهذهِ الآية الكريمة تُحذِر المُسلمين خاصة ، بسبب ما لَديهم مِن معرفةٌ مُسبقة بعظيم شأن الرسولِ الكريم بينَ الخلقِ أجمعين وبمدى صِدقِ رسالتهِ وصِحةِ نبوتهِ في القولِ والعمل ، ولِتُحذرهم مِن العاقِبة الوخيمة التي يمكِن أن تحدُثَ لهُم في حالة مشاقتهم للرَسولِ الكَريم ، وذلك عَن طَريقِ اتخاذهم لنهجٍ غير نَهجِ الرسول وسلوكهم لطريقٍ غيرِ الطريق المُستقيم والذي سارَ عليهِ الرسولِ الأمين .

ففي تفسير هذهِ الآية الكريمة نجدُ القَول الفصل في الجدل الحاصل حالياً بين الناس بخصوص ادعاء البَعض بِضَرورة فَصلِ الدين عن الحياة ، فهؤلاء هُم من يُشاقُّونَ الرسول في أفعاله وأقواله ، وذلك باستحداث أفكار وأقوال غريبة لا تمت لواقع المسلمين بِصلة .

لعلَّ الهدف الأساسي مِن وراءِ ذلك هو إبعاد المسلمين عمّا جاء بهِ رسول الله ﷺ من قول وفعل يخدم صالح المسلمين ويهديهم إلى بر الأمان ، لغاية في أنفسهم لا يعلمُها إلا الله .

فبالرغم من يقين هذهِ الفئة مِن الناس ومعرفتهم بالحق الذي جاء به الرسول الكريم ، إلا أنهم بذلك يلحدون عن طريق الصواب مع كونهم من المسلمين لقوله ﴿ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى ﴾ ويصرونّ بقولهِم هذا على اتباع طريق ونهج الكفَّار ، فغيرِ سبيل المؤمنين هنا هو منهجُ الكُفر ، ومن ضمن ما يدعونَ إليهِ أيضاً هو التخلي الصريح عن الإيمان بالله والملائكة والرسل واليوم الآخر وبالتالي سلوك مَسلك أهل النار من المغضوب عليهم ومن الضالين .

فتكون النتيجة للجميع حسب الآية الكريمة هو تولية الله لهم بما تولوا ، أي ترك هؤلاء الناس لما هم فيه من تسليم شؤون حياتهم للأفكار الهدَّامة لهم ولمجتمعهم ، لتكون النتيجة الضلالة في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب أليم .

مثال ذلك العملي ما حصل لمجتمعاتِ ما سمُي بدول الاتحاد السوفييتي ، فلا يخفى على أحد ما آلو إليه بعد اتخاذهم لمنهج الكفر والضلال سبيلاً وحيداً لتدبير شؤون حياتهم ، فخسروا بذلك الدنيا والآخرة ، وهذا ما سيحدث لباقي المجتمعات إذا لم تعِ الدرس وتُصحح من أوضاعها الدنيوية وتعيد تفعيل دور الدين الرئيسي في الحياة البشرية .

وهذا ما نحاول التحذير منهُ هنا ، مع يقيننا بأنَّ هذا التوجه الكافِر لتسيير شؤون الخلق لن يقبل به المسلمون ولن نقبل به على الإطلاق كمؤمنين ، وكيف نقبل به بعد أن هدانا الله إلى طريقه القويم وإئتمنّا على كتابه العزيز وبشَّرنا بالفوز العظيم كأمةٍ تهدي إلى الحق القويم وتتخذ القرآن العظيم كدستور مبين .

إذاً فحقيقة الفكر والعلم السماوي تتلخص بكونه السبيل الوحيد للبشر أجمعين للفوز بالحياة الكريمة المستقرة على الأرض يتبعها نعيم أكيد وسعادة دائمة في جناتٍ عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين . وإلى الله عاقبة الأمور .

# حقيقة الوضع الحالي للإنسان المعاصر

إننا إذ نحاول هنا في هذا الكتاب العمل على التقريب بين المفاهيم العلمية المطروحة حالياً وبين المفاهيم الدينية المتوارثة منذ الأزل ، نأمل بذلك في فتح الباب بمصراعيه واللجوء أو التوجه إلى الدين الحنيف كبديل وحيد وخيار أخير ، ليتم عن طريقه إستنباط العلوم والمفاهيم التي نحتاجها في تدبُّر حياتنا كمسلمين ، مما سوف يساهم بدوره إن شاء الله في تحسين وتطوير الحياة البشرية ككل ، و بالإسلوب الذي يخدم ويلائم البشر كمخلوقات من بين الخلائق ، وكجزء مهم ومتميّز ممّا خلق الله .

فلجوء الناس في النهاية إلى كُتب الله وأحكامه في بحثهم عن الحقيقة يكاد أن يكون من المسلمات ومن الضروريات الملحَّة أيضاً ، وذلك بسبب تولد الحاجة الماسة إلى حسم العديد من المسائل المعلّقة بين البشر لخطورة الوضع الحالي والذي يهدد البشرية بوجودها واستقرارها في هذه المرحلة التاريخية التي يمر فيها الإنسان عبر تاريخه الطويل المليء بالصراعات والنزاعات الفردية والجماعية ، والتي في تكرارها ستكون العاقبة وخيمة للجميع لتشمل الكائنات الحية بشكل عام ، لِما ستلحقه الإشعاعات النووية المُدمرة والغازات السامة المُميتة على البيئة المحيطة بجميع المخلوقات ، وما مأساة ما حصل من حرب نووية مدمرة في ناكازاكي الجزيرة اليابانية الصغيرة ، أو ما حصل من عطب في المفاعل النووي بشارنوبيل والذي ، وبعد مرور العديد من السنين ، مازالت البشرية تعاني من تلك الآثار النووية المشعة والسامة على محيط تلك المناطق .

لذلك كان سعيّنا للبحث والدراسة في هذا المجال نتيجةً لإدراكنا ضرورة إشباع طموح وكذلك فضول الإنسان للمعرفة ، ولِعدم إمكانية وقف عجلة الزمن وإعادتها إلى الوراء مما يضطرُّنا إلى ضبط عملية التطور هذهِ من خلال السعي لمعرفة المزيد عن العلوم الموجودة في القرآن الكريم ، والذي تم تسميتها هنا بعلم الكتاب ، تقيّداً بما جاء وصف آيات القرآن الكريم لهُ ، وليتم جمع جميع العلوم وحصرها في إطار واحد من العلم مما يسهل فهمها ودراستها .

فالله سبحانه وتعالى هو الأعلم بحال الخلق وبحال الناس وكذلك فسبحانه هو أدرى بحاجات خلقه وبالذي يناسبهم من علوم ومفاهيم لتعاصرهم وترافقهم في دربهم وفي حياتهم

القصيرة التي يعيشونها في دار الاختبار على كوكب الأرض ، وذلك يتم كلٌّ وحسب المرحلة التي تمر فيها البشرية ، مما يُفسر ظُهور الكتب المرسلة والأنبياء في مراحل مختلفة وفي أزمان متفاوتة ، ليترافق مع مستوى تطور مفاهيم ومدارك الناس في تلك المراحل ، مما يمنح تلك العلوم فاعلية وحيوية تتناسب و قدرة الإنسان المعاصر على مواكبتها وفهمها بالصورة الصحيحة .

فالعلوم الحقيقية بجميع صورها كانت وما زالت موجودة في الكتب السماوية بشكل عام وفي القرآن الكريم بشكل خاص ، وذلك منذ أن أرسلها الله العليّ القدير للعالمين عن طريق رسلهِ وأنبيائهِ الصالحين ، ولا يُلاحِظ المرء أي اختلاف بينها من حيث الفكرة والمضمون .

ويرجع سبب تغيير الحوار واللغة في معظمها إلى تغيير أسلوب التفكير لدى الإنسان وإلى مدى اتساع مداركه في استيعاب ما حوله من أحداث .

خير مثال على ذلك هو ما جاء في محكم آيات الله البيّنات عن الفائدة العظيمة والكبيرة التي أوجدها الله في الحديد بشكل خاص وفي المعادن بشكل عام لقوله جلّ وعلى في سورة الحديد الآية ٢٥:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ الله قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ .

عندما نتابع تسلسل الأحداث الذي توحي إليهِ هذهِ الآية الكريمة والتي تُعنَى بالعلوم الإنسانية نلاحظ في البداية ذِكر مجموعة الرُسُل والأنبياء المرسلين من قِبل المولى العزيز القدير مُرفقين بالبينات أي بالدلائل الواضحة والعلوم الحقيقية ذات الفائدة العظيمة لبَني البَشر ، فكلمة بَيِّنات جاءت للتأكيد على مفهوم العلوم البَيِّنة أي الواضحة والمفهومة لدى الجميع ، فكل ما هو بَيّن للناس يكون ذا فائِدة عظيمة لهُم وإلا لَما سَعوا جاهدين لاستبيانه .

ثم جاء قَولِهِ ﴿ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ ﴾ فجاء ذِكر الكِتاب هنا للدلالة على تدوين هذهِ العُلوم البَيِّنة في صُحُفٍ كريمة مُطَهَّرة ليَتحقق بها العَدلُ والمُساواة بينَ الناس لِقَولِهِ ﴿وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ إذاً فالعلوم الدينية ما كانت لتُرسل إلا لتحقيق العدل والمساواة بين الناس وذلك عن طريق كشفها لأسرار الطبيعة ، مما يتيح للبشر فرصة التمتع بما توهِبَهُ الطبيعة لهم من خَيرات كامنة في باطِن الأرض وكمِثال على ذلكَ جاءَ ذِكر الحديد لِقولِهِ تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾ فهنا تم إعطاء وصف حقيقي لطبيعة الحديد الصلبة والقاسية أي إن بأسَهُ شَديد

وهي الميزة التي جَعلت الناس ينتفعونَ بخَصائِصهِ تِلك ، ولا يخفى على أحد بأنَّ بداية الثورة الصناعية ما كانت لتتم لولا التوسع الهائل في إستخدام هذه المادة بمعنى أن هذه المادة كانت مفتاح التطور الكبير الحاصل حالياً ، فلم يأتِ ذِكر الحديد تحديداً في هذهِ الآية عن غير سبب ، وعلى الرغم من ذلك فلم يكن الإنسان حينها قادرا على استيعاب أو فهم مدى الفائدة الكبيرة التي يمكن أن يجنيها من وراء ذلك المعدن ، وقد اكتفى حينئذ باتباع الإسلوب التقليدي في التعامل مع هذه المادة والمتمثل بصناعة السيوف والمتاريس الحربية وغير ذلك من الأساليب البدائية .

إذاً فالحديد كان نقطة الإنطلاق بالنسبة للتطور الصناعي والعلمي القائم حالياً ، والذي تم على أساسه التطور في العمران وفي الصناعات المختلفة ، ولو لم يتم إعطاء الإنسان هذه المعلومة سابقاً لما فكَّر الإنسان أبداً بهذهِ المادة ولما تَوصَّل في النهاية إلى ما هو عليهِ الآن من خير ورفاهية .

فبدلاً من أن يتم شُكر الله العليم الخبير على ما تفضَّل به من نعم لا تحصى ولا تعد ، كالعلوم والمفاهيم الخاصة بالحديد بشكل خاص والتي أدت إلى التوسع في معرفته للمواد بشكل عام ، جحد فضل الله عليه ، وهذا لم يكن مفاجئاً لقوله تعالى في ذات الآية الكريمة ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ الله قَوِيٌّ عزِيزٌ﴾ فقوله تعالى هنا ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ جاءت لتُذَكِّر الإنسان بمعرفة الله المُسبَقة بالجحود ونكران الفضل الذي سيحدث من قبل الإنسان نتيجة هذا الخير العظيم ، ولكن المهم في الأمر هنا هو معرفة من يَنصُر الله في هذا الوَقت ويَذكُر فَضلِه على العالمين عن طريق يقينه بحقيقة تلك العلوم الموهوبة من الله جلَّت قدرتُه فلِذلك جاءَ لَفظ ﴿بالْغَيْبِ﴾ أي عن طريق الدليل العلمي والفكري الحقيقي وليس الحسي ، ولن يضير الله سُبحانُه جُحود الكُفّار لِفضلِه لأن الله يَبقى دائِماً هو العزِّيز القدير .

هذا مثال عملي نعيشه اليوم بكل معانيه ، ويوضح لنا مدى تمكن العلوم الموجودة في القرآن على خدمة الإنسانية جمعاء ، خصوصاً عندما نجتهد في دِراستِها ومحاولة فِهمَها بالصورة الصَحيحة ، لِنَستوعِب مَدى تَمكُنها مِن تَوفير الحياة السَعيدة والمطمئِنة لَنا وللأجيال من بعدِنا .

فمن تلك العلوم القرآنية التي لم تأخذ حقها في الدراسة والتمحيص هي ما يتم عن طريقها حالياً شفاء المرضى بالرُقي أو بقراءة آياتٍ محددة ، وهذا الأمر لم يعُد ليَخفى على أحد ، ولَقَد سَجَّل نَجاحاً كبيراً في عِلاج الكثير من الحالاتِ المُستعصية على عِلوم الطِب البِشري الحالية ، ولِأَنَّهُ يَصعب الاعتراف بهذا الأمر مِن قِبل أنصار الطِب البشري التقليدي الذين اكتَسَبوا أغلَب عِلومِهم على أيدي الكُفار مِنَ الناس ، لِذلك فهُم لا يُريدون أن يُقِرّوا بأنَّ اللهَ قادِرٌ على كلِ شيء

وبالتالي فسواءٌ كان شِفاء المَرضى بالطُرق التقليدية أَم عن طريق القُرآن فذلك كلّه شَأنُ الله وحدُه، بل هُناك من المُرضى من يُعالَجون من أمراضِهم دونَ اللِجوء إلى هذا الشَخص أو ذاك، هكذا بِرَحمَةِ الله وحدَه، والذي يَصعَبُ تصديقُه بالنسبة لنا كمسلمين هو قُدرة الإنسان على شِفاء المَرضى دونَ الرِجوع إلى الله الخالق الشافي ودون الحاجة إلى رحمة الله.

أما الّذينَ يَدّعون ويُصِرون على مَقدِرتهم في تحقيق ذلك، فدَعهُم لا يمرَضون أو لا يموتون أبداً.

وبِخُصوص الطَريقة الروحية تِلكَ والتي تُساعِد على تَخليص الإنسان مِن بَعضِ آلامِه، والمدعوة بالعلاجِ عن طريق القُرآن، فإنها تُرَكِز على العِلاج الروحي، وهناك من يصفه العلاج بالطاقة، أما الذي يهمنا هنا فهو أسلوب العلاج وكذلك الكيفية التي يتم بها، وسوف نتطرق إلى هذا الموضوع بالتفصيل لاحقاً إن شاء الله من خِلال مُتابعتنا لشَرح المواضيع المُدرجة في هذا الكِتاب.

وعليهِ فحقيقة الوضع الحالي للإنسان المعاصر تتلخص بحاجتهِ الماسة والأكيدة للبدائل الفعّالة التي تُنجدهُ مما هو فيه من توجُه نحو تدمير الذات وتدمير كل ما هو جميل وخيِّر في النفس البشرية، ولن يجد هذا البديل سوى في علم الكتاب وحده. والله يعلم بالغيب والناس لا يعلمون.

# حقيقة الآيات القرآنية

مما سَبق شرحهُ يتضح لنا بأنَّ ما نبحَث عنه ونَطلبه ونتوق إليه مِن العِلوم والأفكار المُفيدة لَنا ولِمَن حَولَنا من بني جِلدتنا ، لابُد أن نَجدهُ في التَفاسير الصَحيحَة لتِلك الآيات الموجودة في القُرآن الكَريم والموجودة أيضاً في الكُتب السَماوية الأُخرى ، فيقيننا بأنَّ آيات الله ورسالاته لا تحتمل الخطأ ولا التشكيك بالمصداقية إنما نابع من تجربة حقيقية وبحث مستفيض لواقع الأحداث التي مرّت بها الإنسانية عبر تاريخها الطويل الحافل بالأحداث والمتغيرات الجذرية للعديد من المجتمعات المختلفة بيئياً ونفسياً . ففي قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم ﴿طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ❖ إلا تذكرة لمن يخشى❖ تنزيل من رب السماوت العلى﴾ صدق الله العظيم ؛ خير دليل على صحة تعليلنا بأنّ القرآن إنما جاء لخير الإسلام والمسلمين فقط .

وتطبيقا لمقولة لا يصح إلا الصحيح بمعنى أنه طالما هناك فائدة ملموسة من وراء تفسير معين لآية محددة فإن التفسير في هذه الحالة لابُدَّ أن يكون صحيحاً ومنطقياً وبالتالي نهائياً فيما يخص تلك الآية ، فالخطأ محتمل في تفسيرنا لآيات الله فقط وليس في الآية نفسها والعياذُ بالله ، لذلك فنحن مطالبون بالبحث والتدقيق المستمر في تفسيرنا لآيات الله لكي نصل بالنهاية إلى النتيجة المرجوة والمتمثلة كما أشرنا سابقا في قدرتها على طرح البدائِل عن طريق فرضها للحلول المنطقية والعملية البديلة لمواجهة تلك المشاكل والصعوبات التي تواجه الإنسان في حياته المعاصرة .

فنحن على قناعةٍ تامة بأنَّ لكلِ كلمة أو حرف في كتاب الله لهُ معنى عظيماً ومدلولاً كبيراً كونهُ آتٍ من لدن عليمٌ حكيمٌ خبير ، نتَلَمُس ذلك جيدا في حياتِنا العَملية الحالية شريطة أن تتم الممارسة الصحيحة لأحكام الله وشرائعه ، وبالتالي فالاستفادة الفعلية الكاملة من تعاليم الكتاب والسنة هي ضالتنا الحقيقية ، ذلك لأنها تساعدنا في توجيه حياتنا نحو الأفضل والأحسن فيما يخص جميع نواحي الحياة على الإطلاق .

ولا يمكننا هنا أن ننكر الفائدة العظيمة التي كسبناها كبشر من خلال معايشة مجتمعاتنا المختلفة للأديان السماوية بشكل عام ولدين الإسلام بشكل خاص ، حيث وفَّرَتْ للمُؤمِنِيَن بها على وجه الخصوص الاطمِئنَان والسَكينَة وكَذلِك الرَّاحة النَفسية لينعموا بها طِيلة فَترة التعامل معها ،

يفسر سبب شدة التمسك الحاصل بتلك الأديان والحنين لأيامها من قِبل المجتمعات المؤمنة والذي يصل في مُعظم الأحيان للتفاني والفِداء بالغالي والنفيس من أجل نصرة هذه الأديان والدِفاع عنها، وذلك بالرغم من قِلَّة ومحدودية العلوم والمفاهيم المتاحة في الفترات السابقة مُقارَنةً مع ما هو مُتَوفِر مِنها في عَصرِنا الحالي .

**تصديقاً لكلامنا هذا نجد قوله تعالى في كتابه العزيز في سورة فصلت الآية ٤٤:**

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَّقَالُواْ لَوْلاَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَاعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ فِي آذانهم وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَـئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ .

فعند تفسيرنا لهذهِ الآية الكريمة نُلاحظ في بدايتها وجود نوع من الخِطاب المباشِر الموجه مِن قِبل الله العزيز القدير لعباده الصالحين ، والمبني على فرض الحجج ومواجهتها بالوقائع والأدلة الدامغة الملموسة .

حيثُ نقرأ في قولهِ جلَّ وعلا ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَّقَالُواْ لَوْلاَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ فمن المعروف لدى عامة المُسلمين بأنَّهُ عندما نزَّل الله العزيز القدير القرآن الكريم على عبدهِ المصطفى محمد ﷺ كان باللغة العربية الفصحى ، وهذه مشيئة الله وليست مشيئة الفرد، إذاً فعلى الناس أن يتقبلوها كما هي وكما فُرضت عليهم ، ولا يحق هُنا لأي بشر أن يتحجج بلغة القرآن ليبرر عدم إيمانه وبالتالي كفره بالله وبآياتهِ المحكمات .

وحتى في حالة نزول القرآن في لغة ثانية غير العربية والله طبعاً قادر على كل شيء لجاؤوا بعدها ليتحججوا بعدم فهمهم لآياتهِ مطالبين بالترجمة وبالتفاسير وبغير ذلك كقولهم ﴿ ءَاعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ أي كيف يأتِنا قرآنٌ أعجمي والرسولُ عربي ونحن عرب ! وهذا إن دلَّ على شيء فإنهُ يدل على سوء النية المُسبقة والمبيتة للتعامل مع الرسالات الربانية والشؤون السماوية ، مما يدعونا هُنا كمؤمنين لضرورة الرضوخ لأمرِ اللهِ وتقبُّل أحكامه كما هي ، وعدم المجادلة والنهي عنها ، لأنها قد تؤدي بنا لحالِ هؤلاء الكفَّار في التحجج بأمور لا تخصُّ الرسالة بشيء.

فجاء بعدها أمر الله العزيز لنبيه الكريم أن يقول لهم ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ هُدًى وَشِفَاء﴾ أي أن هذا القرآن كسائر الكتب السماوية كتاب مُقدَّس فيه خَلاص المؤمنين بجميع فئاتهم و ألوانهم من الضلال والضياع الذي يعيشونه ، ليجدوا فيهِ الهُدى للصواب ولدين الحق ، وليتمكنوا بعدها عن طريقهِ مِن شِفاء أنفسهُم من أمراض العصر النفسية والجسدية ، وهذه الهداية تكون من الله وحدهُ ، جلَّت قدرته ، وليست حِكراً على أحد من الناس .

فهناك كثيرٌ من المسلمين المؤمنين بالله الواحِد الأحد لا يستطيعونَ النطق بلغة القرآن أي بالعربيةِ الفصحى ورغم ذلك فهم على إستعداد للدفاع عن الإسلام بأموالهم وأنفسهم ، إذ نرى الله هداهُم بنوره إلى الحق فاستَحبوا بعدها الموت على أن يعيشوا في ضلالِ الكُفرِ المبين .

أما بالنسبة للكيفية التي يتم بها شفاء النفس البشرية مِن أمراضها النفسية ، فذلك يكون عن طريق هدايتها إلى الطريق المستقيم الذي لا عوجَ فيه ، ليتم بعد ذلك توثيق معرفتها ويقينها بالحق والخير الموجود في كتاب ربها ، فتتمكن من أن تُنير دربها وتتعرف على طريقها بذلك الهدى المُبين ، وبذلك تكون قد جنَّبت نفسها الوقوع بالمعاصي التي تُثقِل كاهل العبد وتزيد من آلامه وأوجاعه نتيجة شعوره بالذنب العظيم لجحوده بحق الله ولإجرامه بحق من حوله .

أما شفاء الجسد فيتم بتقوية إرادة وعزيمة المؤمن أمام جميع الأمراض عن طريق رفدهِ بسُبل الإيمان الصحيح ، لينعم بعدها بالسكينة والطمأنينة والتي لا يمكن أن تأتي إلا عن طريق الإيمان القوي بالله وباليوم الآخر وبالقضاء والقدر ، فيعلم بعد ذلك ويتيقن بأنَّ كل ما يصيبهُ هو من أمرِ الله وبمشيئته ، ليتقبَّل حينها جميع الأمراض والعلل بروح عالية وإيمانٍ راسخ بحقيقة المرض كونهُ ابتلاء وامتحان من ربِ العالمين لعباده الصالحين ، ممّا يقلل شكواه ويزيد صبره ويقوى عزيمته ليهزم بمشيئة الله جميع الأمراض والعلل ، تصديقاً لقول رسول الله ﷺ «كل أمر المُسلِم خَير ، إن أصابتهُ سرّاء شَكَرْ ، وإن أصابَتهُ ضرّاء صَبَرْ» صدق رسول الله عليهِ أفضَل السلام وأتم التسليم ، فلا يخفى على أحد مدى ضرورة وأهمية أن يتمتع المريض ، وبغض النظر عن طبيعة مرضهِ بروح معنوية عالية ، وذلك في مواجهته للمرض ، وأن عزيمة المريض هنا واستعدادهُ النفسي لمقاومة المرض هي من الأسباب المهمة جداً لشفائهِ .

وهنا يأتِ دور الإيمان في شِفاء الناس ، ليجعلهُ ميِّزة عظيمة يتمتع بها الإنسان المؤمن دون الكافِر لقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ فِي آذانهم وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَـئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ فالذين لا يُؤمنونَ بالله ولا باليوم الآخِر لن يستطيعوا فهم الحقيقة من القرآن ولن يكون لهم بذلك هداية ولَن يستطيعوا شِفاء أنفسهم ولا أجسادهم بالصورة التي تُرضيهم وتشفي صدورهم ، فتَبقى بِذلكَ نفوسهُم مَريضة عاجزة عن التحرر من آثامها وذِنوبها فتزداد شيئاً فشيئاً لتكون بالنهاية حِملٌ ثقيل يعجَز الإنسانُ عن تحمله فيقع أسير المرض والهموم .

لذلِك فالقرآن الكريم بالنسبة للكافرين به هو عِبارة عن كِتابٌ فيهِ كَلِماتٌ يعجزون عن سماعِها مَهما كانَت اللُغة ، وكأنهُ حينَما يُقرأ القُرآنُ على مسامع هؤلاء ينغز صوت الحق آذانهم فيُصيبها

بالصمم فلا يتمكنوا من تدبُّر معاني آياتِ الله البينات ولا فِهم مُحتواها، وذلك بسبب الوقر الموجود في آذانهم، وهو مرضٌ لا يستطاع الشفاء منه عن طريق الأطباء، والمريض في هذهِ الحالة بحاجة إلى رحمة ربه ليتمكن بعدها من سماع الحق من صوت الحق، حتى يتمكن من فهمهِ كما هو مُنزَّل مِن ربِ العالمين وليس كما يُنقل إليه عن طريق الآخرين .

وإذا بقي على حالهِ فيُصبح بعد صمُّه عن سماع الصدق من القول كالأعمى، يشار له إلى طريق الصواب فلا يستطيع أن يراهُ كي يسير فيهِ ، إذاً فهو على رؤية الحق الذي يراه المؤمن في كلمات الله الموجودة في القرآن كالأعمى وهو في الآخرة لمن الخاسِرين .

كل هذا يحدُث بالرغم من وجود أصواتٌ عديدة تُناديهم للحق وتحاول أن تقف أمامهم لِتَرشِدَهُم إلى الصوابِ ، ولكن تلك الأصوات أو الوجوه مهما كانت قريبة لتُسمعَهم أو أمامهم لتهديهم، فهم بالنسبة لها بعيدون جدا ، بعيدون بسمعهم وبعيدون ببصيرتهم ، كأنهم في عالم آخر بعيداً تماما عنهُم، لا يسمَعون ما يسمعُهُ المُؤمِنون ولا يَرَون ما يَروهُ الصَالِحون ، وكأنَهُمَ يُنادون مِن مَكانٍ بعيد فلا يفقهونَ شيئاً مما يُنادون إليهِ .

مما تقدم يتضح للناس معنى الشِفاء المُرتبط بالهداية والإيمان ، فالهداية والإيمان يولِّدان لَدى المؤمن حُبُ العِلم والتَّعلُم لِما يوفِّرَهُ لهُما مِن ثَباتٍ على الحق وجُرأه في مُقارعةِ الباطِل ودحرِهِ أينَما كان وبِالتالي هزيمَتَهُ والانتصارُ عليه في عُقرِ دارِهِ ويشمَلُ ذلكَ المَرض لِما فيهِ من شرٍ على الإنسان.

بناء على ما تمَّ شرحهُ يتضح لنا أنَّ من خَصائِص المؤمِن حُبُّ العِلم النافع ، لما فيه من مُساهَمة في زيادة أواصِر الأولفة بين العبد وربِّهُ ، وذلك عن طريق توسيع مدى إدراكه لمعاني ودلائل آيات الله وأحكامه ، مما يقوده بالتالي للسمو في محبة الله ليتعالى بإيمانهِ عن جهل الكافر وضَلالة المُلحِد ، فيَرى بعينهِ مالا يرى الآخرون ويسمع بأُذنهِ مالا يسمعون ، ليكون بعدها قد أتم إيمانهِ ، بأنَّ يُصبح عبداً مخلِصاً لإلهٍ عظيم وسلطان حكيم .

فحقيقة الآيات القرآنية تتلمسها بمدى التأثير الكبير الذي تحدثُه هذه الآيات على المستمعين لها، فهي إما أن تزيد المؤمن إيماناً ويقيناً بالله لتصل به إلى مرحلة الرعشة والبكاء لدى سماعها أو أنها تزيد الكافر ضلالاً وكفراً فنجدهُ عند سماع آيات الله كالأطرش والأعمى لا يستطيع أن يسمع قول الحق ولا يستطيع أن يرى طريق الصواب، فيهرب من سماعها لما تولد لديه هذه الآيات من ألم في الروح والجسد والدليل على ذلك نلاحظه في عدم قدرة الكافر على استعياب معنى الآيات وعدم قدرته على الاصغاء والفهم.

والله قاهر فوق عباده وهو الفتاح العليم.

# حقيقة دور المسلم في محيطه

مما لا شكَّ فيهِ أنَّ عقل الإنسان المؤمن في الوقت الحاضر مؤهل وقادر على استيعاب وفهم أمور كثيرة ، ربما كان فهمها يصعب على أسلافه الذين سبقوه في الإيمان ، وذلك كنتيجة لما فتحَ الله على الناسِ مِن تَنوع كبير في مسبباتِ الرزق ومَصادِرِ المعرفة ، وهذا ما يدفعُنا هنا للإلحاح على دِراسة آياتِ الله بجديةٍ أكثَر ، و بإسلوبٍ يختلف تماماً عمَّا عهِدناهُ في السابق ، وهذا يعود لسببين رئيسين :

**أولهُما** كي يَتَسنَّى لنا الاستفادة بصورةٍ أكبَر وأعَم مِن تِلك العِلوم الموجودة بكتاب اللهِ العزَّيز في حياتنا اليومية وذلك لحاجتنا الماسة إلى قاعِدةٍ صلبة ومتينة نَقِف عليها ونَقيس الأُمور على أساسها .

**ثانيا** ليس هناك ما يمنع مِن المحاولة لِدِراسة وفِهم السُّور والآياتِ القرآنية بأسلوبٍ يختلِفُ عمَّا عهِدناه وبطريقةٍ حَديثة تَتَناسَب وفِهمنا لتلك الآيات ولمُتطلبات العصر الذي نعيش فيه ، كي نتمكن بالتالي من استخلاص الحقائق العلمية التي تُفيدنا ، والتي بدورها تعمل على توفير الحلول الجذرية للمشاكل التي تواجهها الإنسانية عن طريق تطبيقها بصورة عمَلية على أرض الواقع ، فيتم بعد ذلك تسخيرها لخدمتنا وتسهيل أمور المسلمين الفكرية والعملية .

فالسؤال الذي يُطرَح مِن قِبل المسلمين هو لماذا يَتحتَم عليهم أن يكتفوا بالوعِظ والإرشاد فقط بما يخص الدين ؟! ولماذا يجدون أنفسهم على الدوام في حاجة للدفاع عن دينهم أمام الأفكار الغربية ؟! وذلك عن طريق دفع المُسلمين لتبرير ما يتوصلون إليه الكفَّار مِن علوم وضعية وما يكتشفونه مِن أساليب تقنية لجعلهِ يتناسب والدين الذي يؤمنون به ، ولماذا لا نكون نَحن السبَّاقون للخير وللصلاح والسبَّاقون أيضاً للعلم والمعرفة التي يبحثون عنها الكفَّار .

فلكي نحقق ذلك علينا أن نتوقف أولاً عن تقليدهم في كل شيء يفعلوه ، على أن نأخذ فقط ما نحن بحاجة إليه فعلاً ليساعدنا ذلك في تحقيق ما نصبوا إليه من خير ومحبة للإنسانية جمعاء ، ثمَّ نواصل العمل على ضوء ما نمتلك مِن كنوزٍ علمية ومفاهيم حقيقية موجودة في ديننا وفي نفوسنا المؤمنة لنتمكن بعدها من التوصل إلى ما نصبوا إليه .